دولة الإمارات العربية المتحدة
دبي

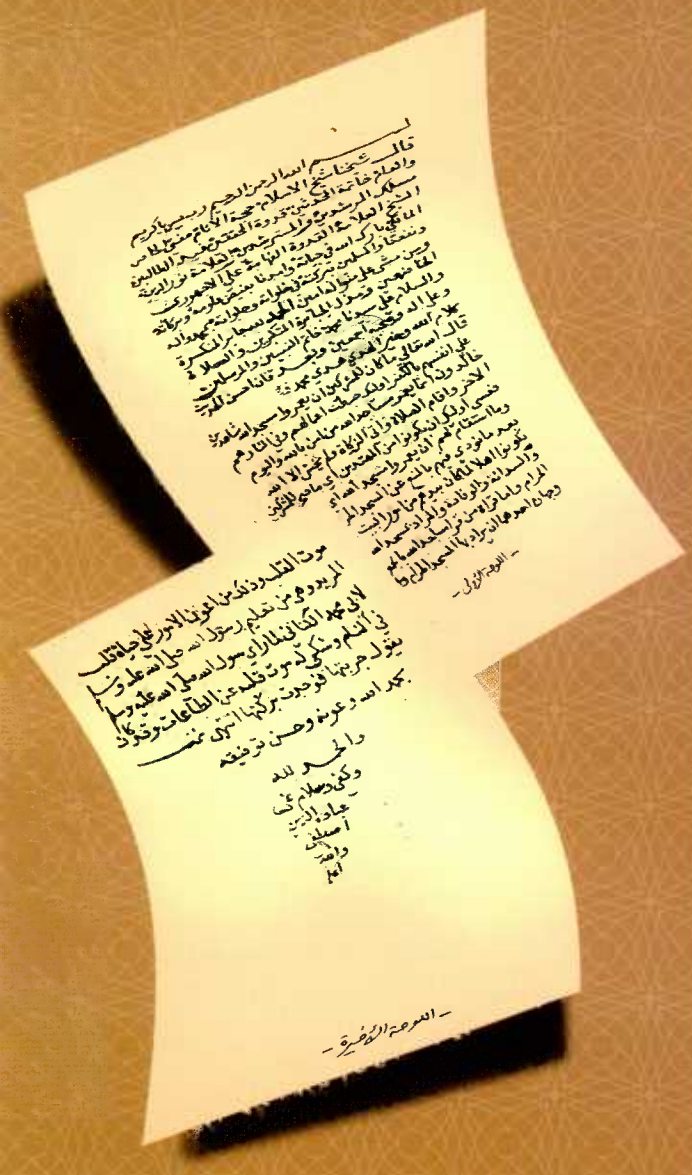

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

إسلامية فكرية محكّمة

العدد السابع و العشرون
ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ - يونيو ٢٠٠٤م

مَجلَّــة
كُلِّيَّةِ الدِّراساتِ الإسلاميَّةِ والعربيَّةِ

إسلاميَّة، فكريَّة، محكَّمة
نصف سنويَّة

العدد السابع والعشرون
ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ - يونيو ٢٠٠٤م

رئيس التَّحرير

أ. د. محمــد خليفــة الدنّــاع

سكرتير التَّحرير

د. مصطفى عدنـان العيـثاوي

هيئة التَّحرير

أ. د. رضوان مختار بن غربية
د. محمد الحــافظ النقــــر
د. عــمر بــو قــــرورة

ردمد: ١٦٠٧-٢٠٩X

تفهرس المجلة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

المحتويـــــــات

● **الافتتاحية**

رئيس التَّحرير ١٣-١٤

● **موقف الفرّاء من القراءات المتواترة في كتابه معاني القرآن**

الدكتور: محسن هاشم درويش ١٧-٤٤

● **جهد الشاطبي (٧٩٠هـ) في التفسير الموضوعي الكشفي**

الدكتور: أحمد عثمان رحماني ٤٥-٧٤

● **حديث قبض العلم ونهاية الوجود المعرفي للإنسان**

الدكتور: صالح أحمد رضا ٧٥-١٣٤

● **حكم مصافحة المرأة دراسة حديثية فقهية**

الدكتور: محمد عبد الرزاق الرعود والدكتور: سعدي حسين جبر ١٣٥-١٧٦

● **الصفات الإدارية الضرورية للداعية في ضوء الكتاب والسنة**

الدكتور: محمد بن عبدالله حياني رضا ١٧٧-٢٢٦

● **الضرائب وحكم توظيفها في الفقه الإسلامي**

الدكتور: عيسى صالح أحمد العمري ٢٢٧-٢٨٦

● **إشكالية القطع في الشريعة الإسلاميَة**

الدكتور: سامي صلاحات ٢٨٧-٣٢٦

● **التراث اللغوي العربي الإسلامي قراءة في المنهج**

الدكتور: محمد لهلال ٣٢٧-٣٨٢

● **قراءة في الصياغة المعجمية لكتاب الماء**

لأبي محمد، محمد بن عبد الله الصحاري العماني

الدكتور: عيسى بن محمد بن عبد الله السليماني ٣٨٣-٤٠٦

• **The Distorted Image of the Arabs as depicted in American Social Studies and Literature Textbooks: A case study based on American Curricula used in the UAE and Other documents**

Dr. Musa Rashid Hatamleh ..... 5 - 50

الصفات الإدارية الضرورية للداعية في ضوء الكتاب والسنة

الدكتور
محمد بن عبدالله حياني رضا*

* كلية التربية جامعة الملك فيصل - السعودية

ملخص البحث:

بما أن الداعية لا تقتصر مهمته على الوقوف في المحراب أو اعتلاء المنبر؛ وإنما تتجاوز ذلك إلى الاختلاط بالمجتمع والاطلاع على أحواله عن قرب؛ لذا يحتاج إلى حسن سياسة ومداراة للمخاطبين، وتوثيق الصلة فيما بينه وبينهم، ثم فيما بين بعضهم البعض بحكمة، هذا إلى جانب ضبط سير حياتهم الدينية و الاجتماعية دون حاجز أو عائق؛وذلك بشخصيته المؤثرة، وكلماته المعبرة، ومواقفه الحكيمة، فجاء هذا البحث لمعالجة أهم الصفات الضرورية لتحقيق ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، وصلى الله وسلم على الناطق بالحكمة والصواب، الذي انقاد له العرب بحسن مداراته، وحكمة تدبيره، وتبشيره بحسن المآب صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعهم، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن المسؤلية الدعوية لا تتوقف عند الوقوف في المحراب أو اعتلاء المنبر، وإنما تتعدى ذلك لتشمل النزول إلى ساحة المجتمع والاختلاط به ليكون الداعية رمز ربط لوشائج القلوب، وحادياً يحدوها إلى مرضاة ربها، ومنقذاً لها من غمرات الضلالة إلى نور الهداية بعزيمة صادقة، وهمة حكيمة، وأذن واعية،وعين بصيرة ولا يتسنى ذلك - بعد العمق الإيماني، و التأصيل العلمي، والبعد الفكري - إلا بالمعرفة و البصيرة بضبط سير الحياة الدينية والاجتماعية للمخاطبين دون حواجز نفسية فيما بينهم، أو معوقات مادية تحول دون الترابط فيما بينهم، وذلك يقتضي من الداعية التحلي بصفات إدارية لتحقيق ذلك، وذلك جزء مهم من مسؤليته، وواجب تحتمه المصلحة الدعوية، فما لايتم الواجب إلا به فهو واجب.

ونظراً لأهمية هذا الجانب في المسؤلية الدعوية أحببت أن أدلي فيه بدلوي مع من سبقني عسى الله عز وجل أن يجعل فيه النفع و القبول.

هذا وقد اتسق البحث من تمهيد، وأربعة فصول، تفرعت عنها مباحث، ثم الخاتمة، وقد ضمنتُ التمهيد إبراز أهمية هذا الجانب من المسؤلية الدعوية، ثم تعريف الإدارة لغة وعرفا، ووجه الصلة بين التعريف اللغوي و العرفي المعاصر، ثم جعلت الصفات الإدارية عناوين كلية للفصول، وجعلت الأساليب و الأسباب عناوين للمباحث، فجاءت الخطة على النحو التالي:

١- التمهيد

٢- الفصل الأول: الخبرة العلمية و العملية في معرفة استعدادات المدعو قبل التعامل معه.

المبحث الأول: الدقة في تقييم المواقف و الشخصيات

المبحث الثاني: التثبت في نقل الخبر

٣- الفصل الثاني: الأسلوب الدعوي المناسب

المبحث الأول: الحزم في غير شدة و اللين في غير ضعف

المبحث الثاني: التصريح في موضعه و التلميح في موضعه

المبحث الثالث: إطلاق الأمر والنهي في الوقت المناسب و الأسلوب المناسب

٤- الفصل الثالث: الحكمة في التعامل مع المخاطبين

المبحث الأول: مداراة الناس

المبحث الثاني: إنزال الناس منازلهم

المبحث الثالث: كتمان أسرار الناس

المبحث الرابع: حسن الظن بالمسلمين

٥- الفصل الرابع: القدرة على تجاوز العقبات الدعوية، و المشكلات الاجتماعية بين المخاطبين.

المبحث الأول: الأخذ بالشورى

المبحث الثاني: حل المشكلات حلاً منهجياً

٦- الخاتمة

٧- الفهارس

هذا والله أسأل تمام التوفيق و السداد و القبول إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

محمد بن عبد الله حياني

١٤٢٣/١٢/٥هـ

التمهيد:

إن المتأمل في سيرة النبي ﷺ، يجد أن حياته عليه السلام لم تتوقف عند تلاوة الوحي بعد نزوله عليه، ثم بيانه بسنته المطهرة فحسب دون أسلوب مناسب يحقق الهدف من ذلك؛ وإنما تخلل ذلك؛ مراعاة الاستعدادات النفسية، والطاقات الفكرية، والظروف الواقعية، والأسلوب المناسب، والمقام المناسب، والأخذ بالشورى، وإنزال الناس منازلهم؛ إكراماً لكريم، ومداراة لسفيه، ثم حلاً لمشكلة، وإماتة لمعضلة، حتى أسر قلوبهم بالإيمان والإذعان، والتزموا بالحق بقناعة ويقين، فأتمروا بأمره وانتهوا بنهيه، وبذلوا نفوسهم رخيصة في سبيل ربهم، وأصبحوا قادة الأمة وقدوتها الحسنة إلى يوم القيامة، وقد تم ذلك بحكمته عليه السلام، وحسن سياسته وتدبيره مؤيداً بوحي من الله، ومسدداً بتوفيق الله عز وجل.

قال الإمام الخطابي رحمه الله في معرض تعليقه على صلاة النبي عليه الصلاة والسلام على جنازة رأس النفاق عبد الله بن أُبي بن سلول لطلب ابنه عبد الله ذلك؛ قال رحمه الله:

((إنما فعل النبي ﷺ مع عبد الله بن أُبي ما فعل لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين، ولتطييب قلب ولده عبد الله الرجلِ الصالح، ولتألف قومه من الخزرج لرياسته فيهم، فلو لم يُجب سؤال ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح لكان سُبةً على ابنه وعاراً على قومه، فاستعمل أحسن الأمرين في السياسة إلى أن نُهي – عن الصلاة على المنافقين – فانتهى[1]. اهـ))

وقال القاضي عياض رحمه الله في معرِض وصفه لحسن سياسته عليه الصلاة والسلام للناس، قال: ((ومن تأمل حسن تدبيره للعرب الذين كانوا كالوحش الشارد، والطبع المتنافر المتباعد، كيف ساسهم؟ واحتمل جفاهم، وصبر على أذاهم إلى أن انقادوا إليه، واجتمعوا عليه، وقاتلوا دونه أهليهم: (آباءهم، وأبناءهم)، واختاروه على أنفسهم، وهجروا في رضاه أوطانهم، وأحبابهم، من غير ممارسة سبقت له، ولا مطالعة كتب يتعلم منها سنن الماضين، فتحقق أنه ﷺ أعقل الناس، ولما كان عقله ﷺ أوسع

(١) انظر: فتح الباري ٣٣٦/٨

العقول؛ لا جرم اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعاً لا يضيق عن شيء[٢])) اهـ بتصرف

وإذا كان النبي ﷺ مؤيداً من الله عز وجل؛ فالداعية بحاجة إلى الأخذ بأسباب النجاح والتوفيق؛ وذلك بتعميق الإيمان بالله عز وجل، والتأصيل العلمي، والإفادة من أهل الفضل والخبرة، ليتحلى بالخبرة العلمية والعملية في معرفة استعدادات المخاطبين، والأسلوب الدعوي المناسب، والحكمة في التعامل مع المخاطبين، والقدرة على تجاوز العقبات الدعوية والمشكلات الاجتماعية، كما عليه أن يسكن قلبَه عزيمةٌ صادقة وقوة إرادة، كي يتمكن من بلوغ الهدف من دعوته بعد ذلك.

فالمسؤلية الدعوية تقتضي ذلك، لأن الداعية ليس خطيب منبر وإمام محراب فحسب، وإنما هو واحد من أفراد مجتمعه بل قدوته، يمتزج مع المجتمع في المسجد والمدرسة، والمكتب، والحضر والسفر، يشارك الناس في أفراحهم وأتراحهم، ويحل مشاكلهم، ويطلع منهم على مالا يطلع عليه غيره.

لذا لابد له من ذلك ليتمكن من ضبط سير حياتهم الدينية، وترابطهم الديني والاجتماعي دون عائق.

ولعل هذه الصفات هي المعنى المراد من القوة التي أمر الله بها موسى عليه الصلاة والسلام في أخذه ما أنزله عليه، قال تعالى: ﴿**وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء، فخذها بقوة، وأمر قومك يأخذوا بأحسنها**﴾[٣] والتي أمر بها نبيه يحيى عليه الصلاة والسلام بأخذه لكتابه الذي أنزله عليه بقوله: (يايحيى خذ الكتاب بقوة)[٤]

فقد فسر العلماء القوة في الآيتين بمعان متعددة، وكلها لا تخرج عن إطار الصفات السالفة الذكر، وجميعها من مقتضيات الأخذ بالكتاب والحكم بما فيه، ولم يفسروها بالقوة المركزية المجردة وإنما بالموضوعية المتكاملة، فقد فسروها: بالعلم، والعقل، والحكمة،

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ٦٦/١، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١١/٧ وحدائق الأنوار ٨٢٤/٢

(٣) الأعراف ١٤٥

(٤) مريم ١٢

والحلم، والصفح، والملاطفة، والصبر، وقوة العزيمة، والجد والنشاط، وقوة الإرادة[٥]

وبتدبر هذه الصفات يظهر أن أهمها قوةُ العزيمة والإرادة، والاستعدادُ النفسي لخوض هذه المهمة بهمة عالية، لأنه بدون ذلك يعسر استمرارية باقي الصفات، وبلوغ الهدف المنشود.

قال الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله في تفسير القوة من قوله تعالى لموسى عليه السلام: (فخذها بقوة قال: ((القوة هنا تمثيل لحالة العزم على العمل في الألواح بمنتهى الجد والحرص دون تأخير ولا تساهل، ولا انقطاع عند المشقة ولا ملل، بحالة القوي الذي لا يستعصي عليه عمل يريده.اهـ))[٦]

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((لا تصغرنّ هممكم، فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم))[٧]

تعريف الإدارة:

الإدارة؛ مصدر أدار يدير إدارة. تقول العرب: أدرت الشيَء أديره إدارة، وأدار الشيَء يديره إدارة. يريدون من ذلك التعدي بفعل التدوير للشيء دوراناً ذات اليمين أو ذات الشمال.

ويستعمل الفعل لازماً أيضا، فيقال: دار الشيُء يدور دورانا.[٨]

ولم يقف العرب في استعمال هذا الفعل عند الدوران الحقيقي بل تجاوزوا ذلك إلى استعماله في نقل الشيء من مكان إلى آخر، ومن رجل إلى رجل آخر أيضا، وقد جاء في

---

(٥) انظر: جامع البيان ٥٨/٦ و ٥٥/٩، المحرر الوجيز ٧٤/٦ و ٤٢٠/٩، زاد المسير في علم التفسير ٢٥٩/٣ التفسير الكبير للرازي ٢٣٦/١٤ و ١٩١/٢١، الجامع لأحكام القرآن ٢٨١/٧ و٨٦/١١، تفسير البحر المحيط ٣٨٨/٤ و١٧٦/٦، روح المعاني ٥٨/٩ و٧٢/١٦، التحرير والتنوير ١٠٠/٩ و٧٥/١٦

(٦) التحرير والتنوير ٩/ ١٠٠

(٧) انظر: أدب الدنيا والدين ص ٣٠٧

(٨) لسان العرب ٢٩٥/٤، القاموس ٣٢/٢، تاج العروس ٣٣١/١١

القرآن الكريم كذلك. قال الله تعالى: ﴿**إلاأن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم**﴾[٩]

أي تتعاطون بيعها أخذاً وعطاء، تقابضاً يداً بيد.

قال الإمام أبو الحسن الماوردي رحمه الله: ((معنى الإدارة؛ إما أنهم يتناولونها من يد إلى يد، أو يتبايعونها في كل وقت.اهـ))[١٠]

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله في معنى الآية أيضاً ((أي يتعاطونها يداً بيد. فالإدارة التعاطي والتقابض))[١١]

فيتضح مما تقدم: أن معنى الإدارة في الآية واضح في النقل لافي الدوران الحقيقي. وكما استعملوا الإدارة في الدوران، ونقل الشيء وتعهده في المحسوسات؛ استعملوه أيضاً في غير المحسوس، قال ابن منظور رحمه الله ((يقال: أدرت فلاناً على الأمر. إذا حاولت إلزامه إياه، وأدرته عن الأمر. إذا طلبت منه تركه))[١٢] والأمر هنا على إطلاقه أعم من كونه مادياً أو معنويا؛ كطلب فعل، أو قول، أو معقول، أو ترك ذلك.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿**إذ يبيتون مالا يرضى من القول**﴾[١٣]

قال: ((يديرون الرأي بينهم، لأن الغالب أن تكون إدارة الرأي بالليل))[١٤]

كما استعملوا هذا الفعل في المعنى الشائع في عصرنا الحاضر أيضا، وهو: إدارة الشؤون سواء أكان ذلك في مؤسسة علمية أم عملية، أو على مستوى الأسرة، قال ابن منظور رحمه الله: ((يقال أيضا: مداورة الشؤون معالجتها. والمداورة. المعالجة))[١٥]

---

(٩) البقرة٢٨٢

(١٠) النكت والعيون ١٩٦/١، وانظر تفسير البحر المحيط ٣٥٣/٢، تفسير القرآن العظيم ٣٤٩/١

(١١) فتح القدير ٣٠٢/١

(١٢) لسان العرب ٢٩٩/٤، القاموس ٣٣/٢، تاج العروس ٣٣٤/١١

(١٣) النساء ١٠٨

(١٤) فتح القدير ٥١١/١

(١٥) لسان العرب ٢٩٧/٤، القاموس ٣٣/٢، تاج العروس ٣٣٨/١١

وقياساً على ما سبق؛ يمكن أن يطلق على الداعية الناجح في معالجته لشؤون المخاطبين: ذو إدارة ناجحة. لأنه يتحلى بصفات إيجابية تخوله اتخاذ أسباب النجاح في معالجته لحياة المخاطبين، لذا يمكن تعريفه من هذا الجانب:

(بأنه الذي يملك قوة التأثير في الناس؛ لاستمالتهم إلى تعاليم الإسلام بقناعة ويقين، بصفات وأساليب مخصوصة).

علماً أن تعريف الإدارة في العرف الإداري المتخصص على اختلاف أصحابه في تعريفها لا يخرج عن الآتي:

(المعرفة الدقيقة بهدف العمل ومستلزماته، والهيمنة على الأفراد لجعلهم يعملون بكفاءة تحقق هدف المنشأة، أو المؤسسة العلمية أو العملية).

ومن ذلك يمكن تعريف الإداري الناجح: (بأنه الشخصية المؤثرة في عمال المنشأة تأثيراً تطَوّعياً لتحقيق أهداف المنشأة أو المؤسسة العلمية أو العملية).[١٦]

ثم بالنظر في عرف الإدارة المعاصر نجد توافقاً كبيراً بين صفات الإداري الناجح والداعية الناجح، وكذلك في الأسلوب الإداري المطلوب، والأسلوب الدعوي أيضا.

أما صفات المدير أو القائد الإداري الناجح التي لا يختلف بها المتخصصون في العلوم الإدارية؛ هي مايلي: (القدوة الحسنة، الفطنة، القدرة العقلية، العلم الشامل، الخبرة الإدارية)

وبمقارنة ذلك في تفسير العلماء (للقوة) في أخذ موسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام لكتاب الله والحكم بين الناس بما فيه، كماتقدم، نجد توافقاً كبيراً بينهما، بل تفسير القوة عند المفسيرين أعم وأشمل.

أما الأسلوب الإداري المناسب لضبط سير العمل في المنشأة فهو: (القيادة المؤثرة، التوجيه، الاتصال المباشر بعمال المنشأة، أخذ الشورى، الرقابة لمنع وقوع الضرر أو

(١٦) اختلف الباحثون الإداريون في تعريف الإدارة اختلافاً كثيراً يتسم بتعدد وجهات النظر في ذلك، والإطناب في التعريف. انظر مباديء الإدارة والقيادة في الإسلام ص٢٣و١٦٩، المفاهيم الإدارية الحديثة ص١٢-١٣

دفعه بعد وقوعه، وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، الخطاب المناسب) وبمقارنة هذه الأساليب بالأسلوب الدعوي المناسب السالف الذكر نجد اتفاقاً كبيراً بينهما أيضا.[١٧]

بعد هذا نخلص إلى أن إضافة لفظ (الإدارية) إلى صفات وأساليب الداعية السالفة الذكر إطلاق له أصله اللغوي.

والله أعلم

(١٧) انظر للمقارنة: كتاب مباديء الإدارة والقيادة في الإسلام، د.محمد بن عبد الله البرعي ص٦٦، ٦٩، ٧٠، ٨١، ١٦٩، ومن ص ١٨٣-٢٣٣. وكتاب المفاهيم الإدارية الحديثة، د.فؤاد الشيخ سالم، د. زياد رمضان، د. محسن مخامرة د. أميمة الدهان. ص١٨١، ١٨٣، ١٨٥، ١٩٧ ٢٠٣، ٢١٧، ٢٣١، ٢٣٤.

الفصل الأول:
الخبرة العلمية والعملية في معرفة استعدادات المدعوّ قبل التعامل معه

المبحث الأول:
الدقة في تقييم الأشخاص و المواقف:

يختلف الناس في مدى استعداداتهم الفكرية والعلمية والنفسية، وهذا التفاوت تجب معرفته على الداعية بدقة بالغة كي يتسنى له إعطاء كل ذي حق حقه، واستغلال الطاقات، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، فكلما تكاملت حلقات التصور المطلوبة كان الحكم محكماً أكثر، والعكس بالعكس.

فإذا قصرت مدارك الداعية عن إدراك ذلك - لقصور علمي، أو بساطة فكرية[١٨]- انعكست تلك النتائج نفسها إلى سلبيات، من إضاعة للحقوق، وهدر للطاقات، ووضع للشيء في غير موضعه وتلك ثغرة في شخصية الداعية ومسؤليته فضلاًعن سوء سمعة من أخطأ الداعية في تقييمه وأساء الظن به، لأن المخاطبين يتفاعلون مع تأثرات الداعية تلقائياً لفرط الثقة به.

وللوصول إلى التقييم السديد، يجب أن يتوافر في الداعية ما يلي:

١- عمق إيماني يضيء طريق السداد في الحكم.

لأنا لو تأملنا سيرة النبي ﷺ لوجدنا الدقة المحكمة في الحكم، ووضع الأمور في نصابها ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

(١٨) كأن يُقوّم الأشخاص باعتبار ما كانوا عليه لا باعتبار ما هم عليه، أو بما يسمعه عنهم دون تحقق وتثبت ومعاينة، أو يصغي إلى تقويم الآخرين دون تثبت ورويّة.

٢- الأصالة العلمية الشرعية، فضلاً عن اللغوية، لأن تصرفات الناس لا تقاس إلا بالمقياس الشرعي الدقيق، وتفسير المواقف التفسير الصحيح بعد معرفة الأسباب والآثار.

٣- فطنة، ودقةملاحظة، أو تمييز بين المواقف.

٤- عدم الاقتصار على معرفة موقف واحد أو موقفين، أو قرينة أو قرينتين من الرجل المقيم، بل لابد من تعدد ذلك، بحيث يمكن بذلك تكوين تصور معين منضبط. وذلك يقتضي التريث وعدم العجلة في الحكم.

فمثلاً اختار رسول الله ﷺ لصحبته في الهجرة من مكة إلى المدينة أبا بكر رضي الله عنه[١٩] ولم يختر لذلك عمر أو عثمان رضى الله عنهما، أو غيرهما من كبار الصحابة رضى الله عنهم!

وذلك يدل على تميز شخصية أبي بكر رضي الله عنه بخصوصية تؤهله لمثل هذا الموقف الخطير لأنه أخطر موقف مر به رسول الله ﷺ - في الظاهر - حيث تعرضت فيه حياته للخطر ومن ثم حياة الدعوة أصلاً.

وخص عمر رضي الله عنه قبل هجرته عليه الصلاة والسلام بالهجرة في نفر من الصحابة ليقوم بحمايتهم ويَسُوس أمرهم، إلى أن يصل إلى المدينة[٢٠]، وذلك لشهرته بالشجاعة، وشدة البأس، مع سداد الرأي رضي الله عنه.

---

(١٩) أخرج البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت في حديثها عن هجرة أبي بكر رضي الله عنه مع النبي ﷺ: (وتجهز أبوبكر قِبَل المدينة فقال له رسول الله ﷺ: على رِسْلك، فإني أرجو أن يؤذن لي، فقال أبوبكر: وهل ترجو ذلك بأبي وأمي أنت؟ قال: نعم. فحبس أبوبكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه.. الحديث)

مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ و أصحابه إلى المدينة ٧/ ٢٣٠، ٢٣١، المسند ٦/ ١٩٨

(٢٠) أخرج البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (أول من قدم علينا - يعني المدينة - مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانوا يُقرئون الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عشرين من أصحاب النبي ﷺ، ثم قدم النبي ﷺ. الحديث). مناقب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ٧/ ٢٥٩

والأولى في الظاهر أن يخص عمر رضي الله عنه لصحبته في هجرته - عليه الصلاة والسلام - لشهرته بالشجاعة وشدة البأس؟

إذاً إنه تقويم النبي عليه الصلاة والسلام السديد المحكم للشخصيات.

ولعله في توفر كمال العقل وأرقى درجات الإيمان وأعلاها منزلة في أبي بكر رضي الله عنه كان سبب ذلك؛أما الشجاعة فتتوافر في وقتها المناسب، وإن لم يسبق لها شهرة.

فرسول الله ﷺ هو المبصر المعاين للاستعدادات، المسدد من الله عز وجل.

ثم مع ما تقدم من فضل أبي بكر ثم عمر رضى الله عنهما وتقديم النبي ﷺ لهما في أجلّ الأمور أرسلهما في سرية إلى ذات السلاسل

بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه حيث كان على جانب كبير من السياسة العسكرية[٢١]، وذلك فضلاً عن الجانب التربوي في هذه المهمة.

ثم أرسل عمر رضي الله عنه في جيش إلى بلاد الشام تحت إمرة أسامة بن زيد رضى الله عنهما حِب

رسول الله ﷺ وكان عُمْر أسامة يومئذ لا يتجاوز ثمانية عشر عاماً[٢٢]، إذ كان يعتبر في سن أبناء عمر رضى الله عنه.

ولا يقال: لعل محبة النبي ﷺ لأسامة جعلته ينصبه أميراً على جيش فيهم أمثال عمر رضي الله عنه؟

لا يقال ذلك، لأنه لا دخل للعاطفة في مثل هذا الموطن الحرج، لأنه جيش متوجه إلى بلاد الشام ليقاتل أعتى جيش في الأرض آنذاك، فكيف يفرط رسول الله ﷺ بجيش ويفرط أيضاً بمنزلة عمر رضى الله عنه تحت قيادة شاب صغير بمثابة ولده بدافع عاطفي! إن أي إنسان غير معصوم لا يفعل ذلك فكيف برسول الله ﷺ؟

(٢١) انظر القصة في طبقات ابن سعد ١٣١/٢. وأخرج الطبراني في الكبير مرسلاً عن ابن بُريدة؛ (أن أبا بكر رضي الله عنه قال لعمر يوم ذات السلاسل: إنما ولاه علينا رسول الله ﷺ لعلمه بالحرب). قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير المنذر بن ثعلبة وهو ثقة. مجمع الزوائد ٣٥٥/٩

(٢٢) نص على ذلك الحافظ الذهبي رحمه الله. انظر سير أعلام النبلاء ٥٠٠/٢، طبقات ابن سعد ٦٦/٤

إن القضية إذاً قضية خبرة وتربية، إذ رأى رسول الله ﷺ في شخصية أسامة الأهلية العسكرية في هذا السن المبكرة، فأراد رسول الله ﷺ، أن تسير في مجالها كي تؤتي ثمارها مستقبلاً بعد تدريبها على الإدارة بصحبة الكبار الأفذاذ.

وبالفعل فقد أرسله أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ وعاد مظفراً[٢٣] رضي الله عنه.

ولقد اتخذ رسول الله ﷺ أمين سره بشأن المنافقين حذيفة بن اليمان رضي الله عنه[٢٤] والأولى بذلك منه في الظاهر أبو بكر أو عمر رضى الله عنهما وأمثالهما في المنزلة والملازمة للنبي ﷺ.

إنه توزيع المسؤوليات المتنوعة على الكفاءات الموهوبة والمتخصصة، بتقويم سديد، ينطلق من بصيرة نافذة بنور الله وتوفيقه، ليكون ذلك التقويم المحكم أسوة لمن بعده عليه الصلاة والسلام، ليتم سير الأمور باستقامة، ودون عوائق.

فالقضية ذات أهمية وخطورة بالغة، فلا يتحقق إصدار الحكم في شخص ما إلا بعد تواتر سماع وطول معاينة، فالإنسان يعرف بمواقفه القولية والفعلية العديدة بالإضافة إلى الاحتكاك في المعاملة المادية، والسفر الطويل، لا بنظرة متفرِس ولا بهمسة أذن من ساذَج أو مغرض.

المبحث الثاني:

التثبت في نقل الخبر:

إن الخبر يصاحب الناس في صباحهم ومسائهم، وغُدّوهم ورواحهم، فبه ترتبط أواصر القلوب وبه تفترق، وبه تثور، وبه تهدأ، وبه تسعد، وبه تحزن، وبه تتأصل دعائم الخير، أو تتراكم ويلات الشر.

(٢٣) القصة أخرجها البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة مولى سول الله ﷺ. مختصرة ليس فيها إنفاذ أبي بكر رضي الله عنه لجيش أسامة بعد استخلافه ٨٦/٧ وأخرجها ابن سعد مطولة بإسناده من حديث هشام بن عروة عن أبيه، وفيها إنفاذ أبي بكر جيش أسامة ٦٧/٤

(٢٤) قال ذلك أبو الدرداء رضي الله عنه في حديث طويل كما عند البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما ٩٠/٧ وانظر المسند ٤٤٩/٦

إنه من الأسباب الأساسية في تقييم الأفراد و المجتمعات، وتيسير سَير المصالح العامة و الخاصة أو تعطيلها.

وإن أعراض المسلمين غير مباحة لطعن الطاعنين دون حساب، ومصالحهم غير متروكة للهدر دون تمحيص وعقاب.

لذا كان من أهم أسس الإسلام أن جُعل الحفاظ على عرض المسلم من مقاصد الشريعة الغراء، ليبني بذلك المجتمع المسلم المتماسك، الذي يمكن أن ينطلق في تشييد الحضارة الإسلامية المنشودة، وتتحقق به الخلافة عن ربه في الأرض.

ولما كان للحكم العاطفي على الآخرين والارتجالي، والعقل الماكر الهادف، واللسان المغرض، والقلم المأجور، والطرْف الخفي، والإشارة الخفية المفهمة، الدورُ الفعال والمؤثر في تدمير السمعة و شل حركة المصالح، بسبب غَيرةٍ وحرص على حياة، أو بساطة فكرية وعاطفة ساذجة، أو تنافس في حظ نفسي؛ من مزيد شهرة في علم، أو عبادة، أو منصب إداري، وقف الإسلام في وجه هذا التيار المدمر بمنهج ذي سدود منيعة من القواعد والضوابط التي يجب أن يمر بها الخبر عبر قنواتها لتختبر ماهيته،وتعرف هوية ناقله، وأسباب روايته، وأهداف ذلك وآثاره فإما أن يطرحه بعد ذلك، ويعاقب الناقل بما يناسب، أو يأخذ به بانياً عليه أسلوب التعامل المناسب مع المخبَر عنه.

إن هذا المنهج استنبطه العلماء من قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا، أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾**[٢٥].

ثم ما روي عن النبي ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار)[٢٦].

---

(٢٥) الحجرات ٦

(٢٦) أخرجه مالك في الموطأ مرسلا، كتاب الأقضية،باب القضاء في المرفق ٢/٧٤٥ وأحمد في المسند ٥/٣٢٧. وابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره. من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وقال في الزوائد: رجال إسناده ثقات إلا أنه منقطع، لأن إسحاق بن الوليد، قال عنه الترمذي وابن عدي: لم يدرك عبادة ابن الصامت. وقال البخاري: لم يلق عبادة. اهـ ٢/٧٨٤ رقم (٢٣٤٠) والحديث أجمع الفقهاء على العمل به وأصبح أحد القواعد الفقهية الكبرى. انظر شرح القواعد الفقهية ص ١١٣.

ثم من القاعدة الأصولية (مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب)[٢٧].

فقد سلط القرآن الضوء على ناقل الخبر فوصفه بالفسق حتى وإن كان قد تزيا بزيِّ العلماء أو تمثل برزانة الفضلاء، أو تشبه بحلم العقلاء، إنه متهم حتى تثبت براءته ولا تثبت براءته إلا بما يلي:

١- أن يكون عدلاً في دينه

٢- ضابطاً في نقله

٣- غير معروف بمنافسة مادية أو علمية،أو حساسية شخصية بينه وبين من يخبر عنه.

أما العدالة فلا تثبت إلا بما يلي:

الإسلام، البلوغ، العقل، السلامة من أسباب الفسق، السلامة من خوارم المروءة،أما المسلم فضده الكافر، وأما البالغ فضده الصبي الصغير، وأما العاقل فضده المجنون، وأما السالم من أسباب الفسق فهو الذي لم يفعل كبيرة، ولم يصر على صغيرة. وهذا أمر لا يعرف إلا بمصاحبة سفر، أو معاملة بالدينار والدرهم. وادعاء المعرفة المؤصلة بسوى ذلك مجازفة.

أما السالم من خوارم المروءة فهو: تنزهه عن أفعال العامة.

ولعل هذا الشرط الأخير أليق براوي حديث النبي ﷺ.

أما الضبط فيشترط لثبوته ما يلي:

- رواية الخبر بألفاظه تماما، أو بالألفاظ القريبة منها، فإن لم يستطع فالمعاني الصحيحة بألفاظ تدل عليها دلالة واضحة صريحة لا ظنية. شريطة أن يكون الناقل عندئذٍ على علم ودراية كافية بمعاني الألفاظ العربية ودلالاتها، كي لا يخل في الدلالة على المعنى الصحيح.

وهذا الضابط فيما يتصل بالمعنى الصريح للخبر الذي لا يختلف في فهمه اثنان لو سمعاه، وإنما شرطوا ذلك لضبط المعنى كي لا يضطرب.

(٢٧) انظر: المحصول في علم الأصول الجزء الأول القسم الثاني ص ٣١٧، شرح الكوكب المنير ١/٣٥٧، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول ص ١٥، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية ٢٦٩

أما ما يختلف فهمه من رجل إلى آخر فلا يجوز نقله وروايته إلا بحروفه، و إلا فلا تجوز روايته بحال من الأحوال، دفعاً لما يترتب على ذلك من ضرر[٢٨].

ونظراً للتساهل الواسع من الناس اليوم في نقل الأخبار فيما بينهم دون روّية وتثبت وتدقيق

ونظر، ودون معرفة بمعاني الألفاظ العربية ودلالتها، وما أدى ذلك إلى قطع حبل الأخوة الإسلامية، وتعطيل المصالح، فالمناسب - من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وسداً للذريعة - أن تضاف شروط أخرى إلى الضبط وهي:

١- ذكر الألفاظ الواردة قبل الخبر والألفاظ التي وردت بعده، لمعرفة دلالة السياق، لأن الخبر قد يكون جملة مقتطعة من سياق، فإذا وضعت في سياقها كانت لها دلالة و إذا فصلت عنها كان لها دلالة أخرى، وكثيراً ما يقع ذلك عمداً لغرض ما، أو سهواً.

٢- حكاية اللهجة التي صدرت من المخبرَ عنه حال تلفظه، ليُعلم هل كانت لهجةَ انفعال وصرامة، أم لهجة ودٍّ وتقديرٍ واحترام، ولكل من اللهجتين دلالتها سلباً أو إيجاباً.

٣- ذكر قرائن الأحوال التي احتفت بهذا الخبر، كالأسباب التي دعت إلى الكلام أو حدوث الفعل.

ومن خلال الشروط المذكورة تضبط معاني الخبر، وسياقه، وأسبابه، وأهدافه.

فإذا عرف الناقل للخبر أنه غير قادر على ضبط الخبر بالشروط المذكورة حرم عليه التحدث بما رأى أو سمع، وحرم على من سمع ناقله أن يصدقه - سواء أكان الخبر مما يضر بالمصلحة الخاصة أم العامة - لما في ذلك من حدوث الجفوة بين القلوب المؤمنة، والإضرار بالمصالح بمجرد الاحتمالات.

وإذا توافرت شروط العدالة و الضبط فإن الحال يقتضي الاستفسار من المخبر عنه - إن لم ينشأ عن ذلك ضرر بالأخوّة - ومصارحته بما يقال فيه بأسلوب مناسب دون

(٢٨) هذه الشروط حوتها كتب علوم الحديث والفقه وأصوله. انظر علوم الحديث لابن الصلاح صفحة ٩٤-٩٦، هدي الساري مقدمة فتح الباري ٣٨٥، وفتح المغيث ٣٦٢/٣، وتدريب الراوي ١٩٨-٢١٠، المغني لابن قدامة ١٤٥/١٤-١٥٠ و١٧٨، وشرح الكوكب المنير ٣٧٨/٢-٣٨٩، المحصول الجزء الثاني - القسم الأول ٥٦٣ - ٦١٢

تصريح باسم الناقل، فربما تقبّل ذلك بصدر رحب، ودفع عنه ذلك بحجة قوية وهي القصد الحسن من إطلاق كلمة يريد بها خيرا، وفهمت منه على ظاهرها، و إنما أخطأ في انتقاء اللفظ المناسب لا أكثر.

أو قام بفعل بقصد حسن، ولم يقدّر النتائج تقديراً حسناً فعيب به وساء فهمه لدى المشاهد، وهذا كثير جداً في الحياة اليومية المعاصرة.

وان اعترف بما قيل عنه نصح وذُكّر (وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين)[٢٩]

وإن لم يتقبل النصح أكثر من مرة، وبأسلوب مختلف هُجر عندئذٍ هجراً جميلاً بقصد تربوي، لا ترفعاً واستحقاراً.

أما إن كانت مصارحته تثير فتنة،نكتم خبره عندئذ، وندعوله، ونعرّض بذلك تعريضاًله في الوقت المناسب.

أما كونه غير معروف بالمنافسة بينه وبين من يخبر عنه:

إن كل ما تقدم فيما إذا لم يسبق النقل نشوب حساسية بين المخبر و المخبر عنه، أو منافسة بينهما، فإن كان بينهما ذلك، فلا يقبل خبرهما في بعضهما البعض أصلا، لأنه إن كانت الذاكرة تخون، والفهم يخطئ في الحالات العادية الخالية من المنافسة والحساسية فكيف مع وجودهما؟

يؤيد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن[٣٠] سوى النسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ومن حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ

---

(٢٩) الذاريات ٥٥

(٣٠) المسند ٢/٢٠٤ ٢٢٥- ٢٠٨-، أبوداود كتاب الأقضية باب من ترد شهادته ٤/٢٤، والترمذي أبواب الشهادات باب ما جاء فيمن لا تجوز شهادته ٧/٦٢ واستغربه من حديث أم المؤمنين رضي عنها، وقال: وفي الباب عن عبدالله ابن عمرو، وابن ماجه كتاب الأحكام، باب من لا تجوز شهادته ٢/٧٩٢، وإسناد عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده محتج به عند أكثر المحدثين. انظر علوم الحديث لابن الصلاح ص٢٨٣، فتح المغيث ٣/١٩٤ - ١٩٥، تدريب الراوي ص ٤٣٤

أنه قال: (لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة، ولا محدود في الإسلام، ولا ذي غِمر على أخيه).

والغمر بكسر الغين - الشحناء و العداوة[٣١].

لهذااتفق العلماء على أنه لا يقبل كلام الأقران بعضهم في بعض في حال نشوب الحساسية فيما بينهم، بسبب المنافسة العلمية والحظوظ النفسية:

قال الإمام البخاري رحمه الله: ((لم ينج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم،وتناول بعضهم في العرض والنفس،ولم يلتفت أهل العلم إلى ذلك، ولاسقطت عدالة أحد إلا ببرهان ثابت وحجة))[٣٢].

وقال الإمام ابن عبدالبر رحمه الله: ((كان بين حِلة العلماء كلام عند الغضب، ولكن أهل الفهم و العلم والَميز لا يلتفتون إلى ذلك، لأنهم بشر يغضبون و يرضون، والقول في الرضا غير القول في الغضب)) اهـ[٣٣] بتصرف

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله: ((كلام الأقران بعضهم في بعض لايعبأ به، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة، أولمذهب، أو لحسد، وما ينجو منه إلا من عصمه الله، وما علمت أن عصراً من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين))[٣٤].

بعد هذا فالتثبت في النقل بالشروط المذكورة إنما يحتاجه الداعية و العالم، بل كل مسلم عندما يسمع عن رجل لم يسبق له فيه معرفة بهوية شخصيته السلوكية و العلمية و الفكرية و النفسية؛ أما إن بلغه عن رجل له فيه معرفة راسخة بطول صحبة، أو بشهرة واستفاضة بين الناس بالفضل فمن العسير عند كل عاقل فضلاً عن الداعية أن يصدّق بعد ذلك ما يسمعه فيه مما يخالف التصور الذي عرفه فيه، فالحكم الذي تأصل بالتواتر لا يُزحزح بخبر الآحاد، وما ثبت بيقين لا يزول إلا بيقين.

ولا يليق بالمسلم فضلاً عن الداعية أن يكون أذناً لكل ناقل، فيمدح اليوم من يذمه غداً أو العكس.

---

(٣١) انظر غريب الحديث لأبي عبيدالقاسم بن سلام ١٥٤/٢، النهاية ٣٨٤/٣

(٣٢) جواز القراءة خلف الإمام ص١٤

(٣٣) جامع بيان العلم وفضله ١٢٥/٢ - ١٥٥

(٣٤) ميزان الاعتدال ١١١/١، ترجمة أحمد بن عبد الله الأصبهاني

إن الداعية أهم شخصية في المجتمع تتحمل مسؤولية هذا المنهج، وبدون هذا المنهج تهتز صورة جمال القيم ورزانة الحقائق، وتنعكس الموازين، وتهدر القيم فيتطاول الصغار على الكبار، وينال أهل المَطْل من أهل الفضل، ويتكلم العامة في أمر الخاصة.

وإننا لو حققنا في الخلافات الناشبة بين الناس بسبب سوء النقل في ضوء هذا المنهج الحكيم المنضبط لطرح معظمهاو استقامت الأمور، ولكن هيهات.

بعد هذا يحسن التنبيه إلى أن سمعة المسلم لا تتعرض للإساءة عن طريق نقل الخبر فحسب، وإنما عن طريق النقد العلمي، و الشخصي، و السلوكي المبني على الاجتهاد أيضا، وهذا باب واسع جدا.

والنقد النظيف المخلص مبني أصلاً على الاجتهاد المعّرض للقبول والرد، فكيف إذا شابته شوائب الحساسية و الغيرة؟ و هو الأغلب، لذا على الداعية أن يتحرى الدقة والتمييز بين المتشابهات في الظاهر.

الفصل الثاني: الأسلوب الدعوي المناسب

المبحث الأول:

حزم في غير شدة ولين في غير ضعف:

إن العمل الدعوي يقتضي من الداعية أن يكون معلماً ومفكراً ومربيا، ومثل هذه الشخصية الجامعة يجب أن تتميز بالأصالة العلمية، والبعد الفكري، والبصر في الحياة الإدارية، والتحلي بأسمى مكارم الأخلاق مع العمق الإيماني.

إنها شخصية تدرك بُعد الأمور، فتتعامل مع الواقع بالحكمة، إنها متوازنة في إدارتها، حزمٌ في غير شدة، ولينٌ في غير ضعف، مباسطةٌ في غير هزْل،مداراةٌ في غير مداهنة، تأنيبٌ في غير تعنيف، وزجرٌ في غير تقبيح.

جمعت بين حزم النذارة، وبشاشة البشارة، و هدوء الحلم، وثورة الغضب في الله عز وجل، وعزم الصبر، والتفاعل مع الحوادث في غير انفعال، وهيمنة التربية، وحنان الأبوة.

إنها راسخة الإيمان، لا تجتذبها بوارق المغريات، ولا تثيرها الأحداث.

فمثل هذه الشخصية تمسك بزمام القلوب، وتقودها إلى الهدف المنشود.

لقد ضمت الكتب السماوية التكاليف الشرعية، والتكليف شاق على النفوس، فالأمر به يحتاج إلى قوة الجد والعزيمة من الرسل عليهم الصلاة والسلام لينهضوا بالنفوس إلى القيام بأعبائه، لكن مع الشفقة لتخفيف عبء المشقة.

وقد رسم القرآن الكريم حدود هذا التوازن الإداري. قال تعالى. ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً**﴾[٣٥].

---

(٣٥) مريم ١٢

وقال في حق موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿**وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظةً وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة، وأمر قومك يأخذوا بأحسنها، سأوريكم دار الفاسقين**﴾[٣٦].

لكن لما كانت النفوس تسأم من حمل التكاليف مع الاستمرار أمر الله عز وجل نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام أن يجمع بين جد الحزم ولين الرحمة. قال تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾[٣٧].

وقال تعالى: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين**﴾[٣٨].

إن الحزم في غير شدة إذا انضم إليه لين الجانب كان مقبولا، فإذا انضم إليه بشاشة البشارة كان أكثر قبولاً، قال تعالى: ﴿**إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً**﴾[٣٩]

لكن كثيراً من النفوس تتثاقل عن حمل التكاليف لمرض في القلب مع توافر ما يُروّحها ويخفف عنها، فذلك مدعاة للأخذ بالصرامة والتعنيف والشدة في حقهم.

قال تعالى: ﴿**أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم، فأعرض عنهم وعظهم، وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً**﴾[٤٠].

وهناك بعض النفوس لا تقبل التكاليف عناداً وكفرا، بل تكيد بصاحب الرسالة، فذلك يحتاج إلى صبر وثبات. قال تعالى: ﴿**فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون**﴾[٤١].

---

(٣٦) الأعراف ١٤٥

(٣٧) الشعراء ٢١٤٢١٥

(٣٨) آل عمران ١٥٩

(٣٩) البقرة ١١٩

(٤٠) النساء ٦٣

(٤١) الروم ٦٠

إن هذا التوازن تحقق في شخصية النبي ﷺ، واتضحت آثاره في قلب موازين الحياة، وإعادة الأمور إلى نصابها في زمن قياسي.

قال القاضي عياض رحمه الله:

((ومن تأمل تدبيره ﷺ أمر بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسة الخاصة والعامة مع عجيب شمائله، وبديع سِيَره، فضلاً عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة لكتب، لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول وهلة.

ومما يتفرع عن العقل ثقوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة، وصدق الظن، والنظر للعواقب، ومصالح النفس، ومجاهدة الشهوة، وحسن السياسة والتدبير، واقتفاء الفضائل، واجتناب الرذائل، وقد بلغ ﷺ من ذلك الغاية التي لم يبلغها بشر سواه.ﷺ

ومن تأمل حسن تدبيره للعرب الذين كانوا كالوحش الشارد، والطبع المتنافر المتباعد كيف ساسهم واحتمل جفاهم، وصبر على أذاهم، إلى أن انقادوا إليه، واجتمعوا عليه، وقاتلوا دونه أهليهم آباءهم وأبناءهم واختاروه على أنفسهم، وهجروا في رضاه أوطانهم، وأحبابهم من غير ممارسة سبقت له، ولا مطالعة كتب يتعلم منها سنن الماضين، فتحقق أنه ﷺ أعقل الناس، ولما كان عقله ﷺ أوسع العقول لا جرم اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعاً لا يضيق عن شيء)) اهـ

إن هذا الكمال له جلالته وهيمنته، لذا كان من رآه بديهة هابه، ومن خالطه بشاشة أحبه.[٤٢]

فالشخصية الدعوية لا تهيمن على القلوب وتؤثر فيها إلا بتوافر الصفات المثالية والتوازن في القرارات الإدارية، بين الحزم في غير شدة، واللين في غير ضعف.

---

(٤٢) هذا الوصف من قول سيدنا علي رضي الله عنه. أخرجه الترمذي أبواب المناقب، باب وصف على للرسول ﷺ – وقال حديث حسن غريب، ليس إسناده بمتصل ٩/ ٢٥٥ رقم (٣٦٤٢) وإنما كان إسناده ليس بمتصل؛ لأنه من طريق إبراهيم بن محمد بن علي، وابراهيم لم يسمع من جده علي رضي الله عنه. انظر تهذيب الكمال ٢/ ١٨٣، تهذيب التهذيب ١/ ١٥٧، والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٣٢٨ رقم (٣١٨٠٥) والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ١٥٠رقم (١٤١٥) من طريق إبراهيم بن محمد أيضا، لكن حسنه الإمام الترمذي لمتابعاته وشواهده، فقد تابع إبراهيم بن محمد نافع بن جبير بن مطعم عن علي به، أخرجه الترمذي مختصراً وصححه. انظر رقم (٣٦٤١)

المبحث الثاني:

٤- التصريح في موضعه والتلميح في موضعه:

بما أن العصمة للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة و السلام فكل من سواهم عُرضة للسهو والخطأ مهما كان نوع الخطأ.

والداعية قد يرى في المخاطبين خطأً أو يبلغه عنه فمن الحكمة عدم التصريح به أمام فاعله لأن النفوس تنفر من المواجهة بالخطأ ولا تتقبل تصحيحه بهذا الأسلوب.

لذا فانطلاقاً من الحفاظ على مشاعر الناس وكرامتهم حتى في التعليم و التصويب، وحرصاً على تقويم وتعديل السلوك كان التعريض والتلميح المفهم هو الأسلوب الأمثل بل و المتعين لذلك.

وقد كان هذا الأسلوب ينبع من أخلاق النبي ﷺ، إذ كان يستحي من المواجهة بالخطأ والتصريح به.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه)[٤٣]

لذا كان عليه الصلاة و السلام يُعرّض به تعريضاً فيقول: ما بال أقوام، وما بال رجال يقولون أو يفعلون كذا.

فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: (ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا)[٤٤].

---

(٤٣) البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب١٠/٥١٣، مسلم، الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ ٤/١٨٠٩

(٤٤) أبوداود ،كتاب الأدب، باب في حسن العشرة ٥/١٤٣وفي إسناده عبد الحميد بن عبد الرحمن الحِماني، اختلفوا في توثيقه وتضعيفه، وقال عنه الحافظ ابن حجر: صدوق يخطيء. قلت: وقد روى له الشيخان وأصحاب السنن سوى النسائي. انظر تهذيب التهذيب ٦/ ١٢٠، تقريب التهذيب ص ٣٩٣ رقم (٣٧٧١) مقدمة فتح الباري ص ٤١٦ ويشهد للحديث الحديثان الآتيان بعده.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم، لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم[٤٥].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أخذ يواصل رسول الله ﷺ - الصوم - وذاك في آخر الشهر، فأخذ رجال من أصحابه يواصلون، فقال النبي ﷺ: (ما بال رجال يواصلون، إنكم لستم مثلي، أما والله لو تمادَّ لي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم)[٤٦].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً دخل على رسول الله ﷺ وعليه أثر صفرة، وكان رسول الله ﷺ قلما يواجه رجلاً في وجهه بشيء يكرهه، فلما خرج قال:(لو أمرتم هذا أن يغسل هذا عنه)[٤٧].

ومثل هذا كثير في السنة

ثم إن هذا الأسلوب خُلُق لم يتوقف عند حد التعليم وتصحيح الخطأ فحسب، بل تعدى إلى كل ما يستحيى من التصريح به من أمور الحياة الزوجية، و الحياة الخاصة المعتادة لدى كل إنسان كالخروج للغائط و نحو ذلك.

والناظر في القرآن الكريم يجد الكثير من ذلك، فقد كنى القرآن وعرض عن الجماع بالملامسة. قال تعالى ﴿**أو لامستم النساء**﴾[٤٨].

---

(٤٥) البخاري،كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة ٢/٢٢٣، مسلم، الصلاة، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء ١/٣٢١

(٤٦) البخاري،كتاب الصيام، باب التنكيل لمن أكثر الوصال ٤/٢٠٥ ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم ٢/٧٧٥ رقم (٥٩) واللفظ له.

ومعنى يدع المتعمقون تعمقهم: أي لو أردت أن أواصل لفعلت دون فتور أو ملل، فإذا قلدني المتعمقون في الدين دون توازن - انقطعوا، أو تركوا تعمقهم. والمتعمق: المبالغ في الأمر، المتشدد فيه، الذي يطلب أقصى غايته. انظر النهاية ٣/٢٩٩.

(٤٧) أبوداود كتاب الأدب، باب من حسن العشرة ٥/١٤٣، وفي الحديث سِلم بن قيس العلوي. قال الحافظ في التقريب ضعيف ص٢٩٢(٢٤٧٣) وقال في الفتح ١٠/٣٠٤ (٥٨٤٦) فيه لين. والحديث أخرجه الترمذي في الشمائل من طريقه أيضا، باب ما جاء في خلق رسول الله ﷺ. ص١٨٢ رقم (٣٣٩) ويشهد للحديث ما تقدمه من أحاديث.

(٤٨) النساء ٤٣

وبالرفث. قال تعالى: ﴿**أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم**﴾[٤٩].

والدخول. قال تعالى: ﴿**وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن**﴾[٥٠].

والسر. قال تعالى: ﴿**ولكن لا تواعدوهن سراً**﴾[٥١].

والغشيان. قال تعالى: ﴿**فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به**﴾[٥٢].

وبالحرث. قال تعالى: ﴿**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم**﴾[٥٣].

وعرض عن البول ونحوه بالغائط. قال تعالى: ﴿**أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء**﴾[٥٤].

وعن قضاء الحاجة بأكل الطعام. قال تعالى: ﴿**كانا يأكلان الطعام**﴾[٥٥].

ومن هذا الباب في السنة كثير أيضاً.

فعن عائشة رضي الله عنها أن امرأة رفاعة القرظيي جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت:

يا رسول الله: إن رفاعة طلقني، وإني نكحت بعده عبدالرحمن بن الزبير، وإنما معه مثل الهدبة فقال رسول الله ﷺ: (لعلكِ تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا. حتى تذوقي عُسيلته ويذوق عُسيلتك)[٥٦].

---

(٤٩) البقرة ١٨٧

(٥٠) النساء ٢٣

(٥١) البقرة ٢٣٥

(٥٢) الأعراف ١٨٩

(٥٣) البقرة ٢٢٣

(٥٤) المائدة ٦

(٥٥) المائدة ٧٥ وانظر الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ١٤٣/٣

(٥٦) أخرجه البخاري،كتاب الطلاق، باب من قال لأمرأته أنت علي حرام ٣٧١/٩ والهدبة استعارة من حَمَل الثوب المتدلي، أرادت به صفة الجماع. انظر القاموس١/١٤٤:

فكنى رسول الله ﷺ بالعسيلة عن الجماع ولم يصرح به.

وقال رسول الله ﷺ لجابر بن عبدالله رضي الله عنهما عندما عاد معه من غزوة تبوك، وقيل: ذات الرقاع، وأراد جابر أن يعجل بالدخول على أهله، فمما قال له عليه الصلاة والسلام: (فعليك بالكيس الكيس)[٥٧].

وأراد من ذلك الجماع طلباً للولد.

ولقد كان رسول الله ﷺ يتلطف شعور أصحابه إذا أراد تعليمهم ما يستحيى من التصريح به، حيث كان يقول في بدء تعليمهم ذلك: أنا لكم مثل الوالد أعلمكم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم؛ فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة و لا يستدبرها. الحديث)[٥٨].

ونحو هذا كثير في السنة وسيرة النبي ﷺ.

والداعية أحوج الناس إلى مراعاة مشاعرهم والتلطف في مخاطبتهم، تلميحاً أو تعريضا،ولتحقيق ذلك يجب أن يكون مرهف الشعور كي يشعر بمشاعر الناس سواء بالفطرة أو بالإفادة من الكتاب والسنة وتوجيه أهل الفضل ذوي الخبرة، كما يجب أن يكون على جانب من العلم في اللغة العربية فضلاً عن العلوم الشرعية، ليتمكن من اختيار الكلمة المناسبة في التلميح والتعريض.

---

(٥٧) البخاري، كتاب الشروط، باب إذا اشترط البائع ظهر الدابة إلى مكان مسمى ٥/ ٣٢٠، كتاب النكاح، باب طلب الولد ٩/ ٣٤١، ومسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر ٣/ ١٠٧٨ رقم ٥٦ ـ ٥٧ وفي الحديث قصة.

(٥٨) أبوداود ،كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة ١/ ١٨، وأخرجه النسائي، كتاب الطهارة باب النهي عن الاستطابة بالروث ١/ ٣٨(٤٠) وابن ماجه في كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث ١/ ١١٤(٣١٣) أخرجوه جميعاً من طرق عن محمد بن عجلان المدني، عن القعقاع بن حكيم الكناني المدني، عن ذكوان أبي صالح السمان المدني، عن أبي هريرة رضي الله عنه به، ورجال إسناده ثقات أثبات سوى محمد بن عجلان قال عنه الحافظ في التقريب: صدوق اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة. ص٥٧٩(٦١٣٦) وللحديث شواهد كثيرة في أبواب الطهارة من الكتب الستة.

المبحث الثالث:

إطلاق الأمر والنهي في الوقت المناسب وبالأسلوب المناسب:

ليس مجرد إطلاق الأمر والنهي بكثرة أو تكرار، وباللهجة الحازمة دليلاً مطرداً على قوة شخصية الداعية، وإنما قد يكون على العكس تماما، لأن ذلك يدل على ضيق أفق الداعية عندئذ، وإن دل ذلك من وجه آخر على حرص أو إخلاص.

لأن النفوس تتثاقل من الأمر التكليفي، كما يعسر عليها ترك ما اعتادت عليه؛ فمراعاة الظروف النفسية أمر مهم جداً في ذلك.

كما أن مراعاة الأمر والنهي ولهجتهما مما يتناسب مع تلك الظروف أمرٌ مهمٌ أيضاً لأن للناس مشاعر وأحاسيس مرعية، مما يدعو إلى سلوك الحكمة في إطلاق الأمر والنهي بالأسلوب المناسب، وقد راعى الإسلام ذلك في أسلوبه في التشريع

فالله عز وجل لم ينزل تحريم الخمر تحريماً قطعياً من أول مرة، وإنما على مراحل متعددة وفي أزمنة مختلفة مراعياً في ذلك الظروف النفسية والعادات المستحكِمة، مع اعتبار مدى تأصّل الإيمان في القلب، لأن الصحابة رضى الله عنهم كانوا قريبي عهد بجاهلية فأول آية نزلت في الخمر في مكة لم تصرح ولم تشر إلى تحريمه قط، وإنما كانت حكاية فعل وهي قوله تعالى: ﴿**ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكراً ورزقاً حسناً**﴾[٥٩].

ثم نزلت بعدها في المدينة آية صرحت بما في الخمر من ضرر ومنفعة، مع الإلماح إلى التحريم.

قال الله تعالى: ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر، قل فيهما إثم كبير، ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾[٦٠].

---

(٥٩) النحل ٦٧

(٦٠) البقرة ٢١٩

فترك عندئذ شربها قوم لقوله تعالى: ﴿**فيهما إثم كبير**﴾، وشربها آخرون لقوله تعالى: ﴿**ومنافع للناس**﴾ ثم نزل بعدها قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**﴾[٦١].

فصرحت الآية بالتحريم في وقت الصلاة فحسب، وأباحتها فيما سواها.

ثم نزل بعد ذلك قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه**﴾[٦٢].

فقد سلك الإسلام طريق التدرج في تحريم الخمر، حيث بدأ بالتنفير منه بطريق غير مباشر، ثم بالتنفير المباشر عن طريق المقارنة بين ذكر ضرره ونفعه مع زيادة الضرر على النفع، ثم بالتحريم الجزئي، ثم بالتحريم الكلي[٦٣].

هذا وقد جاء هذا التدرج في تحريم الربا أيضاً مراعاة للظروف النفسية والعادات المتأصلة، حيث لم ينزل الله عز وجل تحريم الربا بصورة قطعية من أول مرة، وإنما على مراحل متعددة، وفي أزمنة مختلفة، مراعياً الظروف المذكورة أيضاً.

فأول آية نزلت نوهت بكراهية الله عز وجل للربا دون أن تصرح بتحريمه، وكان ذلك في مكة. قال الله تعالى: ﴿**وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون**﴾[٦٤].

ثم نزل في المدينة تلويح بتحريمه بقوله تعالى: ﴿**فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه**﴾[٦٥].

ثم نزل بعد ذلك تحريم جزئي. قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة**﴾[٦٦].

---

(٦١) النساء ٤٣

(٦٢) المائدة ٩٠

(٦٣) تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد علي الصابوني ١/٢٧٢ -٧٣

(٦٤) الروم ٣٩

(٦٥) النساء ١٦٠-١٦١

(٦٦) آل عمران ١٣٠

ثم نزل بعد ذلك تحريم كلي. قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون**﴾[٦٧].

إن هذه الأحكام عندما تنزل تدريجياً كان يراعى في ذلك الظرف والزمن المناسب تماماً و الأسلوب المناسب أيضا، وكان رسول الله ﷺ يبلغها في زمن النزول، ثم بعد ذلك إن ذكّر بها آمرا، أو ناهياً راعى في ذلك الظرف والوقت المناسب أيضاً.

فالنفوس تسأم وتمل من الإكثار والتكرار، ولا تنشط لها دائماً.

عن أبي وائل شقيق بن سلمة البلخي رحمه الله قال: كان عبدالله بن مسعود رضى الله عنه يُذكّر الناس في كل خميس. فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم. قال: (أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُملّكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا)[٦٨].

هذا ولم يقتصر الإسلام في التشريع على مراعاة العادات والظروف النفسية، بل راعى الطبقات العلمية والاجتماعية ليعالج بالأسلوب المناسب الذي يؤدي الثمرة المرجوة

ففي التعزير مثلاً ترك الإسلام مجالاً للقاضي الحاذق البصير تقدير طبقات المعزرين، فرب معزَّر كان معروفاً في مجتمعه بالفضل ويكفي في ردعه عن القبيح توبيخ أو تأنيب ولو بكلمة، وآخر قد يفتح التوبيخ له ثغرة إلى التمادي في القبيح، فمثله لابد فيه من أسلوب أشد من التوبيخ كالحبس و الضرب، وذلك مشروع في التعزير[٦٩] لذا بعد استقرار التشريع السماوي مع نهاية عهد النبي ﷺ كان دور العلماء والدعاة تعليمَ الأحكام والتذكيَر بها مراعين في ذلك ما راعاه الإسلام من الظروف النفسية والزمانية المناسبة والأسلوب المناسب.

---

(٦٧) البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩

(٦٨) البخاري، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة ١٦٣/١، مسلم، كتاب صفات المنافقين باب الاقتصاد في الموعظة ٢١٧٢/٤ رقم (٢)

(٦٩) التعزير عقوبة مشروعة في جناية لا حدّ فيها، ويحصل بالضرب والحبس والتوبيخ. انظر المغني ٢٥٣/١١_٢٦

الفصل الثالث: الحكمة في التعامل مع الأتباع

المبحث الأول:

مداراة الناس:

يختلف الناس في مستوى مداركهم، وفي مستوى أخلاقهم، وفي قدر ما يسكن في نفوسهم من خير أو شر، فقلّ أن يخلو مجتمع من أحمق أو شرير، والداعية ربما ابتلي في مجتمعه بهذا الصنف من الناس، لذا عليه أن يعرف كيف يداري الناس حسب مداركهم وأخلاقهم بالقول والفعل المناسب ليكسبهم للدعوة، أو ليدفع شرهم في أقل تقدير، ولا يفتح على نفسه ثغرة شرورهم فيخسر الكثير.

والمداراة أصلها المدافعة أو الدفع برفق، قال الإمام ابن بطال: ((المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول)).[٧٠]

وقال الحافظ ابن حجر هي: ((الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك))[٧١].

وقال الإمام محمد بن يوسف الصالحي: ((مُلاينة الناس، وحسن صحبتهم، واحتمالهم لئلا ينفروا عنه))[٧٢].

والتعاريف الثلاثة تتفق في المعنى وهو: الصبر على الأذى، و لطف المعاملة بالقول و الفعل.

---

(٧٠) فتح الباري ٥٢٨/١٠

(٧١) المرجع السابق

(٧٢) سبل الهدى والرشاد ٤٧/٧

والمداراة تختلف عن المداهنة كثيراً. قال الإمام القرطبي رحمه الله: ((الفرق بين المداراة و المداهنة، أن المدارة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معاً. وهي مباحة، وربما استحبت، والمداهنة: ترك الدين لصلاح الدنيا))[٧٣].

وقال الحافظ ابن حجر: ((إن المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء و يستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق، وإظهار الرضى بما هو فيه من غير إنكار عليه))[٧٤].

والناظر في سيرة النبي ﷺ يجد الكثير من مداراته عليه الصلاة والسلام لضعفاء الإيمان، ومن عُرف بالحماقة، وسوء الخلق، حيث يستألفهم بالمال ولطف الجانب ولين الكلام.

أخرج البخاري[٧٥] من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنه استأذن على النبي ﷺ رجل فقال: (ائذنوا له فبئس ابن العشيرة – أو بئس أخو العشيرة – فلما دخل ألان له الكلام، فقلت:

يا رسول الله. قلت ما قلت، ثم ألنت له في القول؟ فقال: أي عائشة إن شر الناس منزلة عند الله من تركه – أو ودعه الناس – اتقاء فحشه). والرجل هو: عيينة بن حصن الفزاري المعروف بالأحمق المطاع[٧٦].

وعن عبدالله بن أبي مُليكةَ رضي الله عنه أن النبي ﷺ أهديت له أقبية من ديباج مُزَررة بالذهب، فقسمها في أناس من أصحابه، وعزل منها واحداً لِمخْرَمة، فلما جاء قال: (خبأت لك هذا، وكان في خلقه شيء)[٧٧].

---

(٧٣) انظر فتح الباري ٤٥٤/١٠

(٧٤) فتح الباري ٥٢٨/١٠ قال ابن فارس في معنى المداهنة: الدال والهاء والنون، أصل واحد يدل على لين، وسهولة، وقلة، ومن الباب: الإدهان. من المداهنة وهي المصانعة، وداهنت الرجل: إذا واريته، وأظهرت له خلاف ما تضمر له. يقال: أدهنت إدهانا: غششت. ومنه قوله جل ثناؤه: (ودو لو تدهن فيدهنون). سورة القلم، ٩ معجم مقاييس اللغة ٣٠٨/٢، وانظر لسان العرب ١٦٢/١٣

(٧٥) كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس ٥٢٧/١٠، مسلم، كتاب البر و الصلة، باب مداراة من يتقى فحشه. ٢٠٠٢/٤ رقم(٧٣)

(٧٦) انظر فتح الباري ١٠ / ٥٢٩ و الاستيعاب ١٢٤٩/٣

(٧٧) أخرجه البخاري،كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس ٥٢٧/١٠

ومخرمة هذا هو ابن نوفل بن أهيب القرشي الزهري والد المِسْوَر، وكان من مسلمة الفتح، وهو أحد المؤلفة قلوبهم، وكان في خُلقه شدة، وفي لسانه بذاءة[٧٨].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (مداراة الناس صدقة)[٧٩]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس)[٨٠]

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:(إنا لنُكشِّر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم)[٨١]

والكَشَر ظهور الأسنان في الضحك وغيره، وأكثر ما يكون في الضحك وهو المراد هنا[٨٢].

المبحث الثاني:

إنزال الناس منازلهم

إن مواقف الداعية من ودٍ للناس، واحترامهم، وإعطاء كل ذي فضل تقديره اللائق به، لها دورها الإيجابي، في غرس الثقة به، وتربية قبوله في قلوب الناس، وذلك كسب كبير للدعوة، لأن الدعوة لا تسير على الوجه الصحيح إلا بالثقة بالداعية و قبوله في القلوب.

إن هذه المواقف الإيجابية دليل على وفور عقله، وأنه يعرف قدر نفسه،وقد روي عن النبي ﷺ قوله: (لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل)[٨٣]

---

(٧٨) انظر الاستيعاب ١٣٨٠/٣ وفتح الباري ٥٢٩/١٠

(٧٩) قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن عدي والطبراني في الأوسط، وفي سنده يوسف بن محمد بن المنكدر ضعفوه. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وأخرجه ابن أبي عاصم في آداب الحكماء، وبسند أحسن منه اهـ. فتح الباري ٥٢٨/١٠.

(٨٠) عزاه الحافظ ابن حجر للبزار وضعّف إسناده. فتح الباري ٥٢٨/١٠. وقال الهيثمي: فيه عبيد الله بن عَمرو أو ابن عمر القيسي. وهو ضعيف. مجمع الزوائد ٢٠/٨

(٨١) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة التمريض في كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس. وقال الحافظ ابن حجر: وصله ابن أبي الدنيا، وإبراهيم الحربي في غريب الحديث، والدينَوري في المجالسة من طريق أبي الزاهية عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء اهـ فتح الباري ٥٢٨/١٠

(٨٢) انظر القاموس المحيط ١٣٢/٢. فتح الباري ٥٢٨/١٠ النهاية ١٧٠/٤.

(٨٣) هذا حديث مرفوع ورد عند العسكري في الأمثال من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه، وعند ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق عائشة رضي الله عنها، وقد ضعفه العجلوني وقال: ولكن المعنى صحيح قاله السخاوي اهـ. انظر كشف الخفاء ٢٥٠/١، المقاصد الحسنة ص ١٠٨، رقم (٢١٢).

وقال الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله: (من جهل أقدار الناس فهو بمقداره أجهل)[٨٤]

وقد أولى الإسلام هذا الجانب اهتماماً خاصاً لما فيه من مراعاة لخواطر الناس وحفظ لحقوقهم المعنوية، ولما فيه من كسب للقلوب نحو الإسلام.

قال الله تعالى: (**ويؤت كل ذي فضل فضله**)[٨٥].

فإذا أعطى الله عز وجل أصحاب الفضل حقوقهم يوم القيامة، فعلى المخلوق أن يعطي الحق لأهله كذلك في الدنيا مادياً كان أو معنوياً.

وقد أمر بذلك رسول الله ﷺ: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (أنزلوا الناس منازلهم)[٨٦]

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا)[٨٧]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه)[٨٨]

ومن هذا الباب أمر رسول الله ﷺ بالتجاوز عن عثرات أهل الفضل وذوي

---

(٨٤) انظر الإلماع ص ٢٤٣

(٨٥) هود ٣

(٨٦) أخرجه أبو داود،كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم ١٧٣/٥ من حديث ميمون بن أبي شبيب عن عائشة رضي الله عنها وقال: ميمون بن أبي شبيب لم يدرك عائشة رضي الله عنها.
وأخرجه الإمام مسلم معلقاً في مقدمة صحيحه ٦/١، و صححه الإمام الحاكم في معرفة علوم الحديث له ص ٤٩، والإمام أبوعمرو بن الصلاح في علوم الحديث له ص ٢٧٦، والسيوطي في الجامع الصغير ١٠٩/١
وللحديث شاهد من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عند الخرائطي في مكارم الأخلاق ٥٨/١ رقم (٤١) حسّنه السيوطي في الجامع الصغير١٠٩/١ وانظر كشف الخفاء ٢٢٤/١

(٨٧) الترمذي، البر و الصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان. وقال: حسن صحيح ١٧٠/٦، وأخرجه أحمد بلفظ مقارب. المسند ٢٢٢/٢

(٨٨) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفي إسناده عيينة بن يقظان وثقه ابن حبان، وكذلك مالك بن الحسن بن مالك بن الحويرث، وفيهما ضعف، وبقية رجال الكبير ثقات. وعزاه أيضاً إلى البزار والطبراني من حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه، وعزاه إلى الطبراني من حديث جابر ومعاذ بن جبل، وعبدالله بن ضميرة عن أبيه، وعن أبي هريرة رضي الله عنهم جميعا، وكل هذه الطرق لم تخل من مقال، غير أن تعددها مشعر بأن ضعف الحديث قريب محتمل. والله أعلم. مجمع الزوائد ١٨/٨

الهيئآت، وتَقبُّل أعذارهم للحفاظ على منزلتهم وشأنهم إلا في حدود الله عز وجل وحقوق الناس، لأن أمثالهم تكفيهم الإشارة و التلميح بالخطأ زجراً في الرجوع عنه.

فقد أوصى رسول الله ﷺ بالأنصار الذين حازوا الخير و الفضل كله بإيوائهم رسولَ الله ﷺ ونصرتِه، وحبه، وحبِ كل من هاجر إليهم ومؤثراتهِ على أنفسهم. أوصى بهم رسول الله ﷺ قائلا: (أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم[٨٩].

والتجاوز عن الإساءة ليس مطلقاً وإنما عدا الحدود الشرعية، وحقوق الناس.

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود)[٩٠]

بعد هذا يحسن التنبيه إلى نكتة وهي: قد يستثني بعض الدعاة نفسه من ذلك: كما لو كان في صدر المجلس بين أتباعه، ودخل عليه رجل من أهل الفضل وذوي الهيئآت فإنه لا يقوم له من مجلسه، ولا يوليه الاحترام المناسب لأنه الأحق بمجلسه؟ فتلك مغالطة نفسية لا أكثر، إذ تمنعه نفسه من ذلك خشية أن يصغر في عين أتباعه، والواقع عكس ذلك.

والأدهى من ذلك ما لو ظن أنه الأحق بكل مجلس في بلده تعليماً، و وعظا، و إرشاداً حيثما حل، وإن كان للمجالس أهل و أصحاب.

إن دين الإسلام دين مراعاة الأحاسيس والمشاعر، ودين أداء الحقوق لأصحابها، حتى لو ارتفعت الكلفة بين الأخوة.

قال أحمد بن يحيي بن الجلاء: ((لا تُضيعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه من المودة و الصداقة، فإن الله فرض لكل مؤمن حقوقاً لا يضيعها إلا من لم يراع حقوق الله عليه))[٩١].

---

(٨٩) البخاري،كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ١٢٠/٧: مسلم، فضائل الصحابة ١٩٤٩/٤ رقم ١٧٦

(٩٠) أبوداود،كتاب الحدود، باب الحد يشفع فيه ٥٤٠/٤، المسند ١٨١/٦ وقال المنذري: في إسناده عبدالملك بن زيد العدوي، وهو ضعيف الحديث [مختصر سنن أبي داود ٢٣١/٦] قلت: إن الحافظ الذهبي قدذكر تضعيف علي بن الجنيد له، وقول النسائي فيه: لا بأس به. انظر الميزان ٥٢١٠/٢ الكاشف ٦٦٤/١ المغني في الضعفاء ٥٧٤/١ واقتصر الحافظ ابن حجر في التقريب ص ٤٢٥(٤١٧٩) على ذكر قول الإمام النسائي وذلك مشعر بارتياحه إلى حكم النسائي فيه والله أعلم.

(٩١) تاريخ بغداد ٢١٥/٥

المبحث الثالث:

كتمان أسرار الناس:

إن الداعية موضع ثقة الناس، فهو كالطبيب تعرض عليه مشاكل خاصة بين يديه ليقوم بحلها، فربما تكشفت له فيها عيوب ونقائص، ويُستفتى في أمور خاصة لا يحسن الإفصاح عنها لغيره، فإذا لم يكن على قدر المسؤولية في كتمان أسرار الناسَ – و هو خلق الرجال – عندئذٍ يفقد تلك الثقة، وينظر الناس إليه نظرة ضعف و استهتار بمقامه، وذلك فضلاً عما قد ينتج عن ذلك من فتنة يكون سبباً في إيقاظها.

ولما كان في إفشاء أسرار الناس، وكشف عوراتهم مهانة لهم وفتنة بينهم نهى الإسلام عن ذلك وحذر من مغبة الوقوع فيه.قال الله تعالى: ﴿**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليم في الدنيا والآخرة**﴾[٩٢]

إن الآية و إن نزلت في حادثة الإفك لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإذاعة عيوب الناس دليل على مرض في النفس، أو على بساطة و سذاجة، وذلك مدعاة للفتنة.

وعن جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (من سمَّع سمَّع الله به،ومن يرائي يرائي الله به)[٩٣]

فمن سمّع بعيوب الناس مذيعاً لها، أظهر الله عيوبه، وسمّع به عقاباً له من جنس عمله.[٩٤]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه و ماله و عِرضه).[٩٥]

---

(٩٢) النور ١٩

(٩٣) البخاري،كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة ٣٣٥/١١

(٩٤) وهذا المعنى بعض معاني هذا الحديث. وانظر باقي معانيه في فتح الباري ٣٣٧/١١

(٩٥) مسلم،كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم ١٩٨٦/٤ رقم(٢٥٦٤) والعِرض: موضع المدح والذم من الإنسان، سواء كان في نفسه، أو في سلفه، أو من يلزمه أمره. انظر النهاية ٢٠٨/٣ – ٢٠٩

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يُسْلمه، و من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة).[٩٦]

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من ستر مسلماً كان كمن أحيا موؤدة من قبرها[٩٧].

(٩٦) البخاري،كتاب المظالم،باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ٥/٩٧، مسلم، البر و الصلة، باب تحريم الظلم ٤/١٩٦ رقم ٥٨

(٩٧) المسند ٤ /١٤٧- ١٥٨-١٥٩

المبحث الرابع:

حسن الظن بالمسلمين:

إن طبيعة العمل الدعوي تقتضي القرب من الأفراد ومخالطة المجتمع، والاطلاع على زلات المجتمع التي قد تخفى على الآخرين في حين أنه لا يخفى على أحد حال أكثر المسلمين اليوم من الانسياق في تيار الحياة المادية، ونسيان أو تناسي تعاليم الإسلام والقيم الإسلامية.

إن هذا الواقع قد يثبط همة الداعية نحوَ العمل الدعوي، لأنه مدعاة للإحباط كما يورث سوء الظن بالمجتمع المسلم.

وسوء الظن يعكر بدوره طريق العمل الدعوي من جانب آخر، لأنه يفرز لهجة جافة في مخاطبته، و ربما صاحبَ ذلك شعورٌ بالأفضلية على مجتمعه – في حين غفلة من نفسه – وكل ذلك يُنفِّر الناس من الداعية، فلا تتقبله قلوبهم، فمهما بذل فجهده ضائع عندئذٍ.

ولو أمعن الداعية النظر في حقيقة الأمر، وجد أنه ليس كل مظهر من مظاهر المعاصي يدل على موت الإيمان.

لذا على الداعية أن يعمق النظر متجاوزاً ظاهر الوضع العام، لأنه يتعامل مع معادن؛ فكم من معدِن نفيس تغطى بغبار المادة، وإنما يحتاج إلى كشط ذلك الغبار حتى تظهر جَودة معدِنه، وصفاء جوهره.

إنه يتعامل مع إيمان مثقل بأغشية الحياة المادية، و يحتاج إلى من يرفع عنه تلك الأغشية ليتجدد فيه العزم الساكن إلى السير بحيوية في الاتجاه الصحيح.

هذا فيما يتعلق بسوء الظن بعامة المجتمع بالنظر إلى الواقع العام المعاصر، أما سوء الظن في بعض الأفراد نتيجة مشاهدة قرائن أو سماع خبر؛ فعلى الداعية أن يلتمس العذر فيما شاهد ويتحقق مما بلغه ويحسن الظن، لأن شأن المؤمن الوقوع في الخطأ ثم التوبة منه إذا ذُكرّ أو تذكر، مادام الإيمان يسكن قلبه.

وغاية الأمر أن يُنبِه و يذكِّر ملمحاً أو معرّضا، ولا يخبر بذلك أحداً فيأثم.

قال الإمام بكر بن عبدالله المزني، رحمه الله: ((إياك من الكلام ما إن أصبت فيه لم تؤجر، وإن أخطأت فيه أثمت، وهو سوء الظن بأخيك))[٩٨].

ثم إن سلبيات سوء الظن لا تتوقف على ما سبق و إنما تتعدى إلى الإضرار بالآخرين من سوء السمعة عن طريق التجسس بحجة التحقق من الظن، ثم الغيبة و التشهير، و ذلك يؤدي بدوره إلى حَل عُرى الأخوة، و الإضرار بالمصالح، لذلك حرمه الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا. الآية**﴾[٩٩].

فنهى الله عز وجل عن إشغال القلب بالظن الذي يغلب عليه مطابقة الواقع بعد التتبع المحرم، كيلا نقع في القليل الذي لا يطابق الواقع.

وهذا غاية في صون عرض المسلم والحفاظ على سير المصالح، وتحقيق الأهداف.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: دل سياق الآية على الأمر بصون عرض المسلم غاية الصيانة لتقدم النهي عن الخوض فيه بالظن فإن قال الظان: أبحث كي أتحقق؟ قيل له: ولا تجسسوا، فإن قال: تحققت من غير تجسس. قيل: ولا يغتب بعضكم بعضاً[١٠٠]. اهـ

هذا وقد جاء النهي عن سوء الظن في السنة الصريحة بصيغة التحذير.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً)[١٠١]

---

(٩٨) تهذيب التهذيب ١/٤٨٤

(٩٩) الحجرات ١٢

(١٠٠) أما مجرد الخواطر التي لا تؤدي إلى تجسس، وغيبة، وإضرار بالمظنون به فهذا لا يمكن دفعه عن القلب، يؤيد ذلك قوله عليه الصلاة والسلام «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم.» أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره ٩/٣٨٨ وانظر كلام الحافظ بن حجر في المسألة ١٠/٤٨١

(١٠١) البخاري،كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر ١٠/٤٨١، مسلم، كتاب البر، باب تحريم الظن والتجسس ٤/١٩٨٥ رقم (٢٨)

فسمى الظن أكذب الحديث لأن الاغترار به، أكثر ضرراً من الكذب المحض، لأن الكذب المحض واضح لعدم استناده إلى دليل، أما الظن فإن صاحبه يزعم أنه مستند إلى دليل، والواقع خلاف ذلك[١٠٢].

بعد هذا يحسن التنبيه إلى مهمة، يجب أن لايغفل عنها الداعية، وهي:

إن الأمر بحسن الظن لا علاقة له بانتخاب الكفاءات للساحة العملية سواء كانت مالية كالشركة في عمل تجاري، أو اجتماعية كالزواج، أو إدارية كالتعيين في منصب ما، لأن انتخاب الكفاءات يحتاج إلى سؤال وتمحيص قائم على سوء الظن للوصول إلى اليقين بصلاح الكفاءات المنتخبة للأداء المطلوب.

ولو قام ذلك على حسن الظن لما احتاج إلى سؤال واختبار أصلا، ونتج عن ذلك وضع الشيء في غير موضعه غالبا، ومن ثم إضاعة الحقوق، وهدر الطاقات والزمن، وهذا هو المراد مما ورد عن النبي ﷺ: (احترسوا من الناس بسوء الظن)[١٠٣]

وما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إن من الحزم سوء الظن بالناس)[١٠٤]

والله أعلم.

(١٠٢) انظر فتح الباري ٤٨٢/١٠

(١٠٣) عزاه الهيثمي للطبراني في الأوسط،وقال: فيه بقية بن الوليد وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٩٢/٨

(١٠٤) أخرجه بن شَبّه في تاريخ المدينة المنورة ٨٠١/٣

الفصل الرابع: القدرة على تجاوز العقبات الدعوية والمشكلات الاجتماعية بين الأتباع

المبحث الأول:

أخذ الشورى:

يحتاج الداعية في مسؤوليته الإدارية إلى النزول إلى ساحة مخاطبيه بعيداً عن التميز و الاستقلالية للامتزاج الموضوعي معهم، مشاوراً[١٠٥] إياهم فيما يتعلق بشؤونهم غير منفرد بقرار، وفي ذلك رفع للمعنوية، لما في ذلك من إشعارهم بالمسؤلية المشتركة في اتخاذ القرار. قال تعالى ﴿**وأمرهم شورى بينهم**﴾[١٠٦] وقال تعالى: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾[١٠٧]

وذلك أدعى لرزانة القرار، والأمل الكبير في نجاحه، ودليل على حزم الرأي أيضا، فعن خالد بن مَعدان رحمه الله أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الحزم؟ قال: (أن تشاور ذا لُبٍ ثم تطيعه[١٠٨].

إن نتائج المشورة لا تقف عندما سبق، وإنما تضفي على الجماعة ثوب الترابط عن طريق التعاون، والتناصر، والتناصح،والتوادد فيما بينهم، لهذا كله كان رسول الله ﷺ يكثر من مشورة أصحابه. قال أبوهريرة رضي الله عنه: (ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ)[١٠٩].

---

(١٠٥) الشورى: لغة أخذ شيء من شيء مشتق من قولهم: شِرت العسل أشوره. أي أخذته، فكأن المستشير يأخذ الرأي من غيره. انظر معجم مقاييس اللغة ٣/٢٢٦، لسان العرب ٤/٤٣٤.
واصطلاحا: استنباط المرء الرأي من غيره فيما يعرض له من مشكلات الأمور التي يتردد المرء فيها بين فعلها وتركها.انظر الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني ٢٩٤، وانظر المفردات ٢٧٠

(١٠٦) الشورى ٣٨

(١٠٧) آل عمران ١٥٩

(١٠٨) المراسيل لأبي داود صفحة ١٨٦ رقم (٤٤١) وعزاه الحافظ لأبي داود في المراسيل من طريق عبدالله بن عبدالرحمن ابن أبي حسين. ولم أجده في المطبوعة. انظر فتح الباري ١٣/١٩٠

(١٠٩) ذكره الترمذي بدون إسناد. أبواب الجهاد، باب ما جاء في المشورة ٦/٣٥، وأحمد من رواية الزهري عن أبي هريرة رضي الله عنه ضمن حديث أخرجه من طريق الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، في قصة صلح الحديبية ٤/ ٣٢٨ وعزاه الحافظ ابن حجر لابن أبي حاتم، وقال: رجاله ثقات إلاّ أنه منقطع، فتح الباري ١٣/ ٣٤٠ والانقطاع ما بين الزهري وأبي هريرة رضي الله عنه، وما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ هو منهجٌ في سيرته عليه الصلاة والسلام مع أصحابه امتثالاً لأمر ربه سبحانه (وشاورهم في الأمر) يؤكد ذلك مشورة النبي ﷺ لأصحابه في غزوة بدر لمباشرة القتال، عند مسلم في كتاب الجهاد والسير ٣/١٤٠٣ رقم (٨٣) ثم في أسرى بدر عند مسلم أيضا، الجهاد والسير رقم (٥٨) ويوم أحد في قتال المشركين داخل المدينة أو خارجها، علقها البخاري بصيغة الجزم، كتاب الاعتصام باب (٢٨) ووصلها الطبراني وصححها الحاكم، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر. انظر فتح الباري ١٣/ ٣٣٩، ويوم الحديبية عند البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والحرب ٥/ ٣٢٩، وفي حادثة الإفك عند البخاري، كتاب التفسير باب تفسير سورة النور ٨/٤٥٢.

فأحسِنْ بالمشورة من سبيلٍ للنجاح الإداري، وأكرِمْ بها من عِقد للترابط الأخوي.

وبما أن الداعية محل ثقة الناس ومشورتهم، لذا عليه أن يستفرغ جهده وطاقته العلمية، والعقلية، وخبرته في إبداء الرأي السديد النابع من حرص، والخالي من شائبة التقصير لأنه مؤتمن.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (المستشار مؤتمن)[١١٠].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: (من استشاره أخوه المسلم فأشار عليه بغير رشده فقد خانه)[١١١]

المبحث الثاني:

حل المشكلات حلاً منهجيا:

تعتري الناس في حياتهم العملية مشاكل تحول دون تحقيق الأخوة الإيمانية فيما بينهم لذا جعل الإسلام الصلح بين المسلمين أصلاً من الأصول العامة في الشرع التي تحقق الأخوة الإسلامية.

قال الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾[١١٢]

وقال تعالى: ﴿فاتقوا الله و أصلحوا ذات بينكم﴾[١١٣]

وقال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾[١١٤]

---

(١١٠) أبوداود، الأدب، باب في المشورة ٣٤٥/٥، الترمذي الأدب، باب المستشار مؤتمن. وقال: حديث حسن ٤٦/٨، ابن ماجة الأدب، باب المستشار مؤتمن ١٢٣٣/٢ من حديث أبي مسعود الأنصاري. قال في الزوائد: إسناد حديث أبي مسعود صحيح. رجاله ثقات.

(١١١) المسند قطعة من حديث ٣٢١/٢ – ٣٦٥

(١١٢) الحجرات ١٠

(١١٣) الأنفال ١

(١١٤) الحجرات ٩

وقال تعالى: ﴿**لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس**﴾[١١٥]

فقد أمر الله تعالى بالإصلاح بين الناس في الآيات الثلاث الأُوَل، وخصه بالخيرية بأسلوب الحصر في الآية الرابعة ليدل بذلك على بالغ أهميته.

هذا وقد ركزت السنة المطهرة على أهمية هذا الأصل العام في أحاديث كثيرة، وطلباً للاختصار أقتصر منها على ما يلي:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة و الصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين: الحالقة)[١١٦]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كل سُلامي من الناس عليه صدقة،كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة)[١١٧]

والشاهد في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: تعدل بين الاثنين صدقة. أي تصلح بينهما.

و عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا، أو يقول خيراً)[١١٨]

أي يخبر عما رآه من خير، ويسكت عما رآه من شر، ولا يكون في ذلك كذبا، لأن

---

(١١٥) النساء ١١٤

(١١٦) أبوداود، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين ٢١٨/٥، والترمذي، أبواب صفة القيامة، باب سوء ذات البين. وقال: حسن صحيح ١٩٨/٧

(١١٧) البخاري، كتاب الجهاد، باب من أخذ بالركاب ١٣٢/٦ مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٦٩٧/٢ رقم (٥٦)

(١١٨) البخاري، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس ٢٩٩/٥، مسلم، كتاب البر والصلة، ٤ باب تحريم الكذب وبيان المباح منه ٢٠١١/٤

الكذب: الإخبار بالشيء على غير ما هو عليه، وهذا ساكت.[١١٩] ولا ينسب إلى ساكت قول.

والصلح بين المسلمين له منهجه وأساليبه بحسب أسباب ودواعي الخصومة و المشكلة، إذ إن الخصومة تقع بين المسلمين على النحو الآتي:

أ – بين المسلمين والكفار

ب – بين فئة باغية و فئة عادلة

ج – بين الزوجين

د – بين رجلين في الجراح على مال

هـ – بين رجلين إذا وقعت المزاحمة في الأملاك التجارية، والديون، أو المشتركات كالشوارع، ونحو ذلك.[١٢٠]

والداعية موضع الثقة لدى الناس فقد يدخل في الصلح بأنواع الخصومات السالفة الذكر؛ لذا عليه أن يكون على علم بالآتي:

أ – الأسباب الجذرية للمشكلة

ب – الظروف النفسية المحيطة بالخصوم

ج – القدرات الفكرية، والعلمية، والمالية لدى الخصوم

د – منهج الشرع الحكيم في أسلوب الصلح في كل نوع من أنواع الخصومات السالفة الذكر

ولابد بعد ذلك: من ثقة طرفي النزاع بالداعية المصلح، مع تحليه بالحلم والفطنة، ولعل لمكانة الداعية أثر جيد في ذلك، إذا كان الداعية على قدر المسؤلية.

وبما تقدم يمكن احتواء المشاكل بصورة جذرية، دون فسح المجال لنشوبها من جديد.

والله أعلم

(١١٩) انظر فتح الباري ٥/٢٩٩-٣٠٠

(١٢٠) انظر فتح الباري ٥/٢٩٨ والمغني لابن قدامة ٧/٥

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من رسالته خاتمة الرسالات، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

- فإن الصفات الإدارية في الداعية لاتقل أهمية عن الصفات العلمية والفكرية لأن بها يتمكن الداعية من ربط القلوب المؤمنة بعضها ببعض، ووضعها في المنهج القويم لتسير قدماً نحو مرضاة ربها مجتمعة ومنفردة دون عائق، ولا يعني ذلك أنه إذا افتقر الداعية إليها جميعاً أو بعضها سقط عنه حكم وجوب الدعوة لأن الدعوة واجب كفائي بما يملكه الداعية من استعدادات عقلية وعلمية تمكنه من أداء أدنى حد من الهدف الدعوي لكن دون أن يفتح ثغرة على الإسلام مع تكليفه بصقل شخصيته بالدراسة والفهم، والإفادة من الآخرين، ورياضة النفس، وتعميق الإيمان، كي يتوسم بعد ذلك النجاح والقبول في دعوته.

- على المؤسسات التعليمية الدعوية أن تعنى بتدريب خريجيها من الدعاة على هذا الجانب في شخصية الداعية؛ لما له من أهمية، وأن تزود الدعاة بين الحين والآخر بنتائج الخبرات الدعوية، خاصة فيما يتعلق بالوسائل التي تساعد على صقل شخصية الداعية علميا،وعقليا، وتربويا، وإداريا؛ كي يحظى بالقبول عند الله وعند المخاطبين.

- إن الحياة الإدارية ربما قامت على حظ النفس، وهوحبها للسيطرة الإدارية - وتلك شائبة خطيرة.

ففرق كبير بين داعٍ يدعو إلى ربه، وداعٍ يدعو إلى نفسه.

إن العمل الدعوي لن ينجح كما يريده الله عز وجل إلا إذا قام على إخلاص القول والفعل لله عز وجل، واجتماع الأتباع على الداعية وكثرتهم مدعاة تسلل حظ النفس في الأقوال والأفعال.

والإداري الفارس من يميز بين عزم القلب الخالص، وتسلل النفس بالدسائس.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

ثبت المراجع:

١- القرآن الكريم

٢- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، ت (٩١١هـ) المطبعة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٣- أدب الدنيا والدين، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، ت (٤٥٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت

٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر، أبوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري،ت (٤٦٣ هـ) مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر

٥- الإلماع إلى أصول الرواية، وتقييد السماع، القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو أبوالفضل اليحصبي، ت (٥٤٤ هـ) دار التراث القاهرة، والمكتبة العتيقة، تونس،١٣٨٩هـ

٦- تاريخ المدينة المنورة، ابن شبَّه، أبوزيد عمر بن شبَّه النمري البصري،ت (٢٦٢هـ)
تحقيق فهيم شلتوت، طبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد بالمدينة المنورة.

٧- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت،ت(٤٦٣هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

٨- تدريب الراوي، في شرح تقريب النواوي، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر الطبعة الأولى، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٣٧٩هـ

٩- تفسير آيات الأحكام من القرآن، الصابوني، الشيخ محمد علي مكتبة الغزالي، دمشق، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

١٠- تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي؛ محمد بن يوسف، ت (٧٥٤هـ) دار الفكر، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

١١- تفسير التحرير والتنوير؛ الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.
تفسير القرآن العظيم؛ ابن كثير؛ إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت(٧٧٤هـ). مكتبة النهضة الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ

١٢- التفسير الكبير، الفخر الرازي، ت (٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي الطبعة الثالثة، بيروت.

١٤- تقريب التهذيب، ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، ت(٨٥٢ هـ) دار الرشيد، حلب، سورية، ١٤٠٦هـ

١٥- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، الأسنوي، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن الأسنوي، ت(٧٧٢ هـ) دار الإشاعة، أحاديث أكاديمي، الهند

١٦- تهذيب التهذيب، ابن حجر، دار صادر، بيروت.

١٧- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، تحقيق أبوالأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الرياض ١٤١٦هـ.

١٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ت (٣١٠هـ) دار الفكر بيروت، ١٤٠٥ هـ.

١٩- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، السيوطي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الرابعة.

٢٠- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي؛ محمد بن أحمد الأنصاري، ت (٦٧١هـ) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ.

٢١- الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي؛ أحمد بن يوسف، ت(٧٥٦هـ) دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٢٢- الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني، أبوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ت،(٥٠٢هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي؛ محمود الألوسي البغدادي، ت (١٢٧٠هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الحمن بن الجوزي، ت (٥٩٦هـ) المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى.

٢٥- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي،ت (٩٤٢هـ) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية، ١٤١٨هـ.

٢٦- السنن، أبوداود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي،ت (٢٧٥هـ) دار الحديث، سورية، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ.

٢٧- السنن، الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة،ت (٢٧٩هـ) مطابع الفجر الحديثة، حمص، سورية، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ.

٢٨- السنن، النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان أبوعبدالرحمن، ت (٣٠٣هـ) مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م

٢٩- السنن، ابن ماجة، أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني، ت(٢٧٥هـ) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

٣٠- سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي،ت(٧٤٨ هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٣١- السيرة النبوية، ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل بن عمر، ت (٧٧٤ هـ) دار المعرفة بيروت، ١٣٩٦هـ.

٣٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى عليه الصلاة والسلام، القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو، أبوالفضل اليحصبي، ت(٥٤٤هـ) المكتبة التجارية الكبرى، توزيع دار الفكر، بيروت.

٣٣- شرح الكوكب المنير، ابن النجار، محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن علي الفتوحي الحنبلي، ت(٩٧٢هـ)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ

٣٤- شرح القواعد الفقهية، الزرقاء، الشيخ أحمد الزرقاء، ت(١٣٥٧هـ) دار الغرب، بيروت، ١٤٠٣ هـ

٣٥- الصحيح، البخاري، محمد بن إسماعيل بن ابراهيم الجعفي، ت(٢٥٦هـ) مطبوع مع شرحه للحافظ ابن حجر العسقلاني، المسمى بفتح الباري، توزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

٣٦- الصحيح، مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت(٢٦١ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، إحياء علوم التراث العربي، بيروت.

٣٧- الطبقات، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، المعروف بكاتب الواقدي، ت (٢٣٠هـ) دار صادر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣٨- علوم الحديث، ابن الصلاح، أبوعمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري، ت(٦٤٣ هـ) المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ١٣٨٦ هـ

٣٩- غريب الحديث، أبوعبيد القاسم بن سلاّم الرومي،ت(٢٢٤هـ)الهند، حيدر آباد، ١٩٦٤هـ

٤٠- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، ت(٩٠٢هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٤١- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، ت(٨١٧هـ) دار الجيل، بيروت، ١٤٠٣هـ
٤٢- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، الذهبي. شركة دار القبلة - مؤسسة علوم القرآن، ١٤١٣هـ.
٤٣- كشف الخفاء ومزيل الإلباس لما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، العجلوني، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي،ت(١١٦٢هـ) مكتبة التراث الإسلامي، حلب، سورية.
٤٤- الكليات، الكفوي، أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني، ت(١٠٩٤هـ) وزارة الثقافة، دمشق.
٤٥- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي؛ جمال الدين محمد بن مكرم، ت (٧١١هـ) دار صادر، بيروت.
٤٦- مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، ت(٨٠٧ هـ)
مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٤٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية؛ أبو محمد عبد الحق الأندلسي ت (٥٤٦هـ) الطبعة الأولى، الدوحة.
٤٨- المحصول في علم أصول الفقه، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الحسين، ت(٦٠٦هـ) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ
٤٩- مختصر سنن أبي داود، المنذري، أبومحمد عبدالعظيم بن عبدالقوي،ت(٦٥٦هـ)
مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.
٥٠- المراسيل، أبوداود، سليمان بن الأشعث السجستاني، ت(٢٧٥هـ) دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ
٥١- المسند، ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ت(٢٤١ هـ) دار صادر، بيروت.
٥٢- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت(٣٥٩هـ) دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.
٥٣- معرفة علوم الحديث، الحاكم، أبوعبدالله بن البيّع النيسابوري،ت(٤٠٥هـ) دائرة المعارف العثمانية، الهند.
٥٤- المقاصد الحسنة في بيان الأحاديث المشتهرة على الألسنة، السخاوي؛ محمد بن عبد الرحمن، ت(٩٠٢هـ)دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٥- المغني، ابن قدامة، موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد المقدسي الجماعيلي، ت(٦٢٠هـ) هجر للطباعة، والنشر، والتوزيع، والإعلان، القاهرة، ١٤٠٦هـ
٥٦- المغني في الضعفاء، الذهبي، دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.
٥٧- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت.
٥٨- مكارم الأخلاق، الخرائطي، محمد بن جعفر بن محمد بن سهل،ت(٣٢٧هـ) مطبعة المدني، ١٩٩١م، مصر.
٥٩- الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، ت(١٧٩هـ) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٠هـ.
٦٠- النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي؛ علي بن حبيب، ت(٤٥٠هـ)وزارة أوقاف الكويت، ١٤٠٢ هـ
٦١- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد،ت (١٢٥٠هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر الطبعة الثالثة، ١٣٨٠هـ
٦٢- الوجيز في إيضاح القواعد الفقهية، البورنو، محمد صدقي بن أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ

Abstract

This article is intended to explain the qualities necessary for the preacher. The duty of a successful preacher is not to preach in the mosque, but to understand the conditions of the society in which he lives. By acquiring an adequate knowledge of his society, the preacher can move surely and steadily to preach in both the religious and social areas without obstacles.

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

ACADEMIC REFEREED JOURNAL OF
ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

EDITOR IN-CHIEF
Prof. Muhammed KH. Al Danna

EDITING SECRETARY
Dr. Mustafa Adnan Al-Ethawi

EDITORIAL BOARD
Prof. Ridwan M. Bin Gharbih
Dr. M. Elhafiz Al-Nager
Dr. Umar Bu Qarura

ISSUE NO. 27
Rabial II, 1425H - June 2004G

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the **"Ulrich's International Periodicals Directory"**
under record No. **157016**

e-mail: iascm@emirates.net.ae

ISSN 1607-209X

UNITED ARAB EMIRATES- DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

Academic Refereed Journal of

ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

ISSUE NO. 27
Rabial II, 1425H - June 2004G

e-mail: iascm@emirates.net.ae